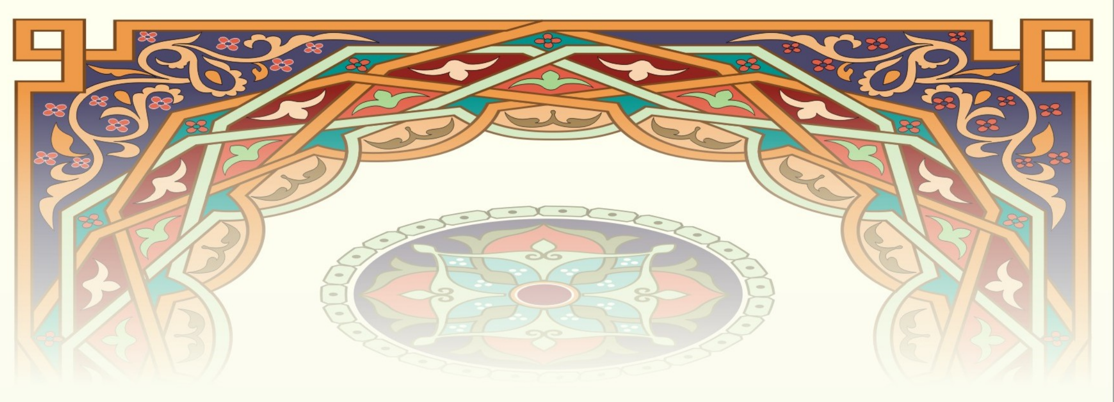
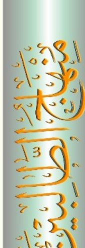






حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه

الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام





حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه



منهاج الطالبين

خطابان

لحضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه

الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ألقاهما في ٢٧ و ٢٨ كانون الأول /ديسمبر ١٩٢٥م

بمناسبة الجلسة السنوية في قاديان

ترجمة: محمد طاهر نديم

الشركة الإسلامية المحدودة

اسم الكتاب: منهاج الطالبين

الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

Minhājuṭ-Ṭālibīn

By: Ḥaḍrat Mirzā Bashīrud-Dīn Mahmūd Aḥmad

(My Allah be please with him)

(Arabic translation)

Translated from Urdu by: Muhammad Tahir Nadeem

First published in the U.K in 2011

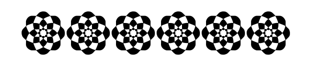
Published by:
Al-Shirkatul Islamiyyah
"Islamabad"
Sheephatch Lane
Tilford, Surrey
GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Tilford, Surrey

ISBN: 978-1-84880-421-0

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات



بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

وعلى عبده المسيح الموعود

مقدمة الناشر

هذا الكتاب عبارة عن خطابين لسيدنا مرزا بشير الدين محمود أحمد، المصلح الموعود، والخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام، ألقاهما في الجلسة السنوية في قاديان عام ١٩٢٥، تحت عنوان: "منهاج الطالبين"، حيث بيّن فيهما طريق التخلص من الآثام والسيئات، والتقدم نحو كمال الأخلاق والروحانية.

قبل البدء في الموضوع، ردّ حضرته رضي الله عنه على بعض الشبهات التي كانت تثار ضده، كما قدم توجيهات هامة لأفراد الجماعة. وقد تناول أيضا صعوبةَ الأوضاع التي كانت تمرُّ بها الجماعة في ذلك الوقت، مؤكدًا أن هذه الأوضاع -رغم صعوبتها البالغة- ستتغير إلى الأحسن، وأن هذا هو القدر الإلهي الذي لا بد أن يتحقق. وهذا ما كان بفضله تعالى.

ثم بدأ حضرته رضي الله عنه الموضوع بتعريف الإنسان الكامل؛ حيث بيّن بأنه الإنسانُ الذي يحافظ على علاقة سليمة مع الخالق والمخلوق. ثم ذكر نقطة هامة بأن الدين جزءان؛ الأخلاق والروحانية. والأخلاق هو ما يتعلق من أعمال الإنسان ببني جنسه، أما يتعلق منها بالله تعالى فهو الروحانية.

ثم بعد أن استعرض تعريف الأخلاق الحسنة لدى بعض العلماء المسلمين السابقين بيّن رضي الله عنه أنَّ الأخلاق الحسنة ما هي إلا تلك الأفعالُ المحمودة عقلا وشرعا والتي تصدر عن قصدٍ وإرادةٍ وقدرةٍ، بحيث تتفق هذه الأفعال مع صفات الله تعالى ولا تخالفها.

وفيما يتعلّق بجذور الأخلاق ومنبعها، فبيّن حضرته أن الله تعالى قد فهَّمه هذا الأمر على وجه خاص. حيث بيّن أنَّ جذورَ هذه الأخلاق موجودةٌ في المادة البدائية؛ كقوى الجذبِ والتنافرِ وغيرها، وهي تظهر في كل المخلوقات من ذرات وجمادات ونباتات وحيوانات بحسب درجتها، وتكتسبُ في الإنسان شكلاً مركَّبا معقّدا غيرَ ماديٍّ نتيجة تطوّر خَلْقه. وقد بين حضرته أنَّ أساس كل الأخلاق قائمٌ على هذه القوى البدائية، وهي تتطور لتصبح أخلاقا في الإنسان بسبب تحكمه بها بقوة الإرادة. تظهر هذه القوى في الجمادات على شكل خواصّ، وفي النباتات حواس، وفي الحيوانات

غرائز، وفي الإنسان أخلاق. وهذا المبحث يُعتبر هاما جدا لفهم النفس الإنسانية وتحليلها وطرق إصلاحها.

وقد بيّن حضرتُه أنَّ الإثم والسيئات والذنوب تحول دون تحلّي الإنسان بالأخلاق الحسنة، كما تمنعه من القيام بالأعمال الصالحة؛ وهكذا يفشَلُ الإنسان في التحول إلى إنسانٍ أخلاقيٍّ أولاً بانضباط علاقته مع المخلوق، كما يفشل بالتحول إلى إنسان ربانيٍّ روحانيٍّ فيما يتعلق بعلاقته بالله تعالى. فعرّف حضرته الإثم، وبيَّن كيفية تولُّدِه، وكيف تنتقل السيئات بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، وبيّن أن الآباء لا بد أن يصلحوا أخلاقهم وسلوكهم أولا، وأسهب في بيان طرق هذا الإصلاح، وقدّم توجيهاتٍ هامةً فيما يتعلق بتربية الأولاد، موضحًا أن هذه التربية تبدأ في اللحظة الأولى من الولادة.

ثم بيَّن حضرته الفارق الهام بين جماعتنا والعلماء المسلمين السابقين فيما يتعلق بنظرية الأخلاق، فبيَّن أن أهمَّ ما يميزها هو أنها تركّز على الجانب الإيجابي، بينما ركزت النظريات السابقة على الجانب السلبي؛ أي أن النظريات السابقة ركزَتْ على أن الإنسان يجب ألا يفعل كذا وكذا ليسمى ذا خُلق، بينما ركّز المسيح الموعود عليه السلام على أن الإنسان يجب أن يفعل كذا وكذا ليصبح ذا خلق. وأوضح حضرته رضي الله عنه أن التركيز على نفي الجوانب السيئة لا يجعل الإنسان

خلوقا، بل قد يولِّدُ فيه سيئات أخرى. وبيّن أن نظريتنا تقوم على أن الإنسان قد خُلِق ليتحلى بمكارم الأخلاق ويعمل الحسنات ويصبح عابدا لله تعالى ومتخلقًا بأخلاقه ومتصفًا بصفاته قدر نطاقه؛ وهذه هو مفهوم قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٧).

وقد أسهب حضرته رضي الله عنه في تبيان وسائل اكتساب الحسنات واجتناب الآثام والسيئات فيما يتعلق بعلاقة الإنسان مع المخلوق ومع الخالق، وأجاب على كثير من التساؤلات. كما تضمَّن الكتابُ كثيرًا من النقاط والمواضيع المفيدة التي استعرضها حضرته خدمةً للموضوع الأساس وفي سياقه.

إن هذا الكتاب العظيم يُعتبر مرجعا هاما وأساسيا في علم الأخلاق والسلوك نحو كمال الأخلاق والروحانية، كما يمكن اعتباره دليلا لتقويم سلوك السالكين وتوجيههم أيةً كانت درجة سلوكهم.

ولقد نال شرف تعريب هذا الكتاب الداعية محمد طاهر نديم، فجزاه الله أحسن الجزاء. كما نشكر الأساتذة الأفاضل التالية أسماؤهم لمساهمتهم في إخراج هذا السِّفْر المبارك وهم: تميم أبو دقة، هاني طاهر، الدكتور علي البراقي، الدكتور وسام البراقي، فتحي عبد

السلام، محمد العاني، بشير عابدين، عـــلاء نجمي، هاني الزهيري وعبد المؤمن طاهر.

نسأل الله تعالى أن يوفق القارئ الكريم للاستفادة من هذا الكتاب العظيم، وأن يجعله منار هداية للطالبين الراغبين في الوصول إلى الله تعالى. آمين.

الناشر

الخطاب الأول

ألقاه حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه

في ٢٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٢٥م

في الجلسة السنوية بقاديان

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران: ١٩١- ١٩٦)

أشكر الله تعالى على أنه بمحض فضله ورحمته حقق فينا مرة أخرى تلك الآية التي أقامها على صدق مبعوثه ومرسله في هذه الدنيا، إذ وفقنا مرة أخرى للاجتماع في هذا المقام؛ ليس لتحقيق أية عزة أو رغبة دنيوية، ولا لنيل مال أو ثروة، ولا من أجل راحة أو سكينة مادية، بل لوجه الله تعالى ولرفع ذكره وللثبات على الإيمان، وأدعو الله تعالى أن يصحح نياتنا ويصلح أعمالنا.

أتناول الآن - بتوفيق من الله تعالى - موضوعًا أردت طرحه أمامكم في هذه الجلسة السنوية، ولكن قبل الخوض في تفاصيله أود إخباركم أنه على جزأين؛ أولهما يتعلق بأمور ألمس ضرورةً للفت انتباه الجماعة إليها بمناسبة الاجتماع السنوي، وثانيهما موضوع علمي على شاكلة المواضيع العلمية التي تناولتها في السنوات الماضية.

أبدأ اليوم بإذن الله تعالى الجزء الأول من الموضوع لأنه طويل نوعا ما، ثم بعده سأفصّل في الجزء الثاني.

(هنا قال بعض المسؤولين لحضرته ﷺ: لا يزال الناس يأتون أفواجا، في حين أنه لم يبق متَّسَعٌ في ساحة الاجتماع، لذلك نرجوك

أن تحثّ الناس على الجلوس متلاصقين ومتراصين ليفسحوا المكان للواقفين خارج الساحة فقال رضي الله عنه:)

كنا قد أعددنا ساحة واسعة للاجتماع هذه المرة، ولكن الله تعالى يؤكد لنا بأنه سيبعث عددًا من المستمعين يفوق توقعاتنا. فعلى الإخوة أن يجلسوا متلاصقين ومتراصين حتى يتمكن الواقفون خارج ساحة الاجتماع من الدخول إليها، ولكن يجب أن يتم ذلك دون إحداث ضجة أو ضوضاء، وعلى الإخوة جميعًا الاستماع إلى الخطاب بكل هدوء.

إنني مصاب بالسعال، وقد بحّ صوتي جراءه. ومع أن أملي بالله تعالى كبير أنه سيوفقني لإلقاء هذا الخطاب على مسامعكم ولكن لا بد من اتخاذ الأسباب المادية أيضا ومنها هدوء الإخوة والتزامهم الصمت والإصغاء إلى الخطاب جيدا.

في البداية أريد أن أزيل بعض الشبهات التي نشأت في أذهان بعض الناس تجاه شخصي إذ نقل لي بعض الإخوة الذين قاموا بزيارة فروع الجماعة خارج قاديان أقوالا - دون ذكر أسماء قائليها، و لم أر حاجة لمعرفة أسمائهم — منها قولهم عني: "إنه يجلس عاطلا دون أن يحرك ساكنا، ولا نراه يقوم بأي عمل يذكر."

يضطرني قولهم هذا لأذكر لهم – على خلاف طبعي – تفصيل ما أقوم به يوميًا من أعمال راجيًا أن تزول به شبهاتهم وظنونهم، لأن الشك والظن كالسُمِّ إن بقي داخل الإنسان أدّى إلى هلاكه ودماره.

سأسرد أمامكم الآن تفاصيل جدول أعمالي، وسأقتصر على جدول أعمال الأيام الأخيرة لأنها الأقرب إلى ذهني الآن ليعلم الإخوة أنني أبذل كل ما في وسعي للقيام بهذه الأعمال، مع التنويه إلى أنني مستعد للعمل أكثر من ذلك إن دلّني أحد على سبيل لتحقيق ذلك.

على أية حال، إليكم الآن ما أقوم به يوميا:

بعد تناول الفطور صباحا أعطي دروسًا في مدرسة السيدات التي أنشأناها حديثًا وسجلنا فيها عددا من السيدات المثقفات بمن فيهن زوجاتي الثلاث وابنتي أيضا. يعوزنا وجود معلّمات في جماعتنا من أجل دراسات دينية عليا للنساء لذلك يضطر الرجال لتدريسهن من وراء حجاب. أدرّسهن اللغة العربية في هذه الأيام، ويتولى المولوي شير علي تدريس الإنجليزية و"ماستر محمد طفيل" يدرِّس الجغرافيا. الوقت المخصص لكل درس هو خمس وأربعون دقيقة، ولكن نظرًا إلى كثرة المواد الدراسية وقلة عدد الأساتذة فإن جميع الأساتذة يعطون وقتا إضافيًا، فأدرسهن لساعة وربع ساعة، ثم أتوجه إلى تلك

الغرفة التي يقابلني فيها الإخوة، وقد تغيرت حالتها في هذه الأيام إذ أخرجنا منها أثاثها ليتسع مكان اللقاء، أما في أيام عملي العادية فتكون هذه الغرفة مكتظة بالكتب. على أية حال، أصل إلى هذه الغرفة في الساعة التاسعة والربع صباحا فيبدأ عملي المكتبي حيث أطلع على أمور الجماعة الإدارية وتقاريرها وخططها. يصلني البريد اليومي في الساعة العاشرة. أستلم يوميا من ستين إلى مئة وخمس وعشرين رسالة، وتستغرق قراءتها ساعتين أو ساعتين ونصف، لذلك لا أفرغ منها إلا في الساعة الثانية عشرة والنصف أو في الواحدة ظهرا فأذهب لتناول الغداء ثم إلى صلاة الظهر. ثم أعود لأنجز بعض الأعمال أو أقرأ تقارير الدوائر والمكاتب أو أفكر في بعض الخطط أو أطالع بعض المقالات العلمية المفيدة في تأليف كتب بدأتها مؤخرًا. بعد هذا أذهب لأداء صلاة العصر، وبعدها أجلس قليلا مع الإخوة، ثم إذا كان هناك موعد لإلقاء درس ذهبت إليه وإلا أمليت ردودًا على الرسائل حتى صلاة المغرب التي أصليها بالناس ثم أتعشى وأستمر في مطالعة بعض الكتب حتى صلاة العشاء. بعد صلاة العشاء أتوجه مرة أخرى إلى غرفتي المذكورة حيث أشتغل بترجمة معاني القرآن الكريم (إلى اللغة الأردية) من الساعة الحادية عشرة إلى الثانية عشرة. ثم أطالع بعض الكتب إشباعًا لرغبتي في

القراءة غير أنها بالنهاية تفيد الجماعة. تستمر قراءتي هذه إلى الساعة الثانية عشرة والنصف أو الواحدة ليلا. وبعد كل ذلك عندما أخلد إلى الفراش فلا تكتحل عيني بالنوم من شدة التعب والإرهاق، تتحرك الأشياء وتهتز أمام عيني لأن الإعياء والعناء يسببان لي رعشة تسري في أعضاء جسمي، وأخيرا وعلى هذه الحالة يأتيني النوم. ثم يبدأ برنامج الأعمال نفسها بعد صلاة الفجر من اليوم التالي.

هذا هو برنامج أعمالي التي أداوم عليه منذ الثلاثة أو الأربعة أشهر المنصرمة. بالإضافة إلى ذلك فقد راجعت في هذه الفترة نفسها خطابي - الذي ألقيته في إحدى الجلسات الماضية - عن "إثبات وجود الله البارئ"، وكانت مراجعتي دقيقة جدًّا لدرجة أستطيع القول بأنني أعدت تأليفه، فكنت أعمل عليه حتى الساعة الثانية أو الثالثة صباحًا. وعليه ففي مثل هذه الظروف لا أجد وقتا للراحة بل حتى أثناء تناولي الطعام أكون مشغولا في التفكير في بعض الاقتراحات والقضايا الهامة المتعلقة بالجماعة، وأحيانا تسألني زوجاتي عن بعض الأمور ظنًّا منهن أنني متفرغ - على الأقل أثناء تناولي الطعام - فأرد عليهن بجفاء: ألا يمكنكن أن تلاحظن من قسمات وجهي أنني أتفكّر في أمر هام؟ فنظرًا لضيق الوقت أضطر في أحيان كثيرة إلى التفكر والتدبر حتى أثناء تناول الطعام. يقول الأطباء

والحكماء إن تناول الطعام بهذه الطريقة يؤدي إلى عسر الهضم، ولكن أنّى لمن همّه أعمال جِسام أن يلتفت إلى هذا النصح. ومع كل ذلك عندما سمعت أن البعض يقول عني: ما هي الأعمال التي أقوم بها؟ تذكرتُ مثال شخص خرج ذات يوم بحماره ومعه ابنه، فمرّا بجماعة من الناس، فقالوا: يا لهذَين المغفّلَين يتركان الحمار ويمشيان! لماذا لا يركبانه؟ فلما سمع هذا الكلام ركب الأبُ الحمارَ. فمضيا حتى مرّا بجماعة أخرى فقالوا: يا لهذا الأب القاسي الذي ركب الحمار وترك ابنه المسكين يمشي. فنـــزل وأمر ابنه بالركوب، فمضيا غير بعيد حتى مرّا بجماعة أخرى فقالوا: يا لهذا الابن العاق الذي ركب الحمار بنفسه وترك أباه الشيخ العجوز يمشي. فلما سمع ذلك قال لابنه: هلمّ يا بني نركب الحمار. فركباه ومضيا حتى مرّا بجماعة أخرى فقالوا: يا لهذين الظالمَـــين القاسيَين اللذين قد أثقلا بركوبهما على هذا الحمار المسكين! فلما سمعا ذلك نزلا عن الحمار وأخذا يتشاوران فيما يجب عليهما القيام به، لأنه إلى الآن قد اعتُرض على كل تصرف قاما به، فقررا في النهاية حمل الحمار على كتفيهما، ففعلا؛ ولكن الحمار أخذ يرفس ويركل بقوائمه حتى إذا مرّا على جسر فقدا السيطرة عليه فوقع في البحيرة، فرجعا متأسفَين على عدم تحقق رغبتهما بإرضاء الجميع.

والعبرة في هذه القصة هي: مهما قام الإنسان بأعمال جليلة فلا بد أن يوجد من يعترض عليه وينتقده.

فالبعض من جماعتنا يقولون لي إنك لا تنفك تعمل ولا تستريح ولو قليلاً، وهناك آخرون يقولون لي: إنك لا تقوم بأي عمل يُذكر إذ لا يتراءى لنا شيء من هذا القبيل. وما دام عدم اطلاعهم على أعمالي التي أقوم بها يكفيهم دليلا على أنني أهدر أوقاتي وأقضيها عاطلا عن العمل، فلا بد أن يقولوا إن الله تعالى أيضا لا يفعل شيئا لأن أحدًا لا يراه يعمل.

اعلموا أن الأعمال أنواع، بعضها أعمال ذهنية وبعضها بدنية. فمن يأخذه همُّ القوم كل مأخذٍ فلا بد أن يغرق في تفكير عميق في خطط ومشاريع من أجل ازدهار القوم ورقيهم، فلو رآه أحد هؤلاء المعترضين على هذه الحال لقال: إنه يظلّ جالسا بلا عمل. هل من عاقلٍ يسعه القول بأن الحمّال يقوم بعمل شاق ولكن الذي يقوم بأعمال ذهنية وفكرية فلا يعمل شيئا. الجهد الذهني أمر عظيم مرهق يشيب الإنسان بين ليلة وضحاها، في حين أن الأعمال البدنية تُكسب الإنسان قوةً وتجعله أقوى يوما بعد يوم. العمل الذهني لا يُرى أو يُشاهد بشكل محسوس وملموس إلا أنه يمكن الاطلاع عليه وإدراكه من خلال المصاحبة والمرافقة، أما العمل البدني فبالإمكان مشاهدته.

عندما سافرت في العام الماضي إلى بريطانيا قابلني كثير من الإنجليز ولما رأوا انشغالي الكبير بأعمالي أشاروا عليّ - رغم كونهم غير مسلمين - أن آخذ قسطا من الراحة وإلا فستتدهور صحتي. إذًا لا يمكن لأحد معرفة الحالة الحقيقية لأي إنسان إلا بعد لقائه. لقد قال رسول الله ﷺ: "خيرُكم خيرُكم لأهله." (سنن ابن ماجه، كتاب النكاح باب حسن معاشرة النساء)، مما يدل على أن شهادة الزوجة بحق زوجها معتبَرَة وتقع على جانب كبير من الأهمية، ولأجل ذلك يستشهد المسلمون بحق الرسول ﷺ بالشهادة المعروفة للسيدة خديجة رضي الله عنها.

قبل أيام قليلة رُفعتْ إليّ شكوى ضد أحد المبشرين بأنه تفوه بكذا وكذا من الأقوال. فلما سئل قال: لقد قلت إن الخليفة يثقل بكثرة الأعمال على من حوله لدرجة يشق بها عليهم الاستمرار معه طويلا.

فلا يمكن أن يقدّر أعباءَ أعمالي إلا الذين يعملون معي.

لقد عوّدني الله تعالى منذ صغر سني على حبّ المطالعة والقراءة، والمراد من صغر سني هو الفترة ما بعد وفاة المسيح الموعود عليه السلام. لقد ساءت صحتي بسبب هوايتي هذه وبلغتُ من الضعف درجة قال لي الخليفة الأول للإمام المهدي عليه السلام بعد التشاور مع الدكتور مرزا يعقوب بيك: ينصحك الطبيب بأن تنام يوميا سبع ساعات

متتالية وإلا فستتدهور صحتك أكثر. ثم أكد رضي الله عنه بنفسه أيضا تأكيدا شديدًا عليّ بأن أنام سبع ساعات متوالية، ثم قال: تذكّر جيدا أن من لا يستمع إلى نصح الطبيب يتضرّر، فعليك أن تتقيد بهذا الأمر. ولكن مع كل ذلك ظلّ نومي يتراوح بين أربع إلى ست ساعات باستثناء أيام المرض الشديد، مما أدى إلى تفاقم الضعف العصبي عندي لدرجة يعرف من يصلي خلفي أنني أنسى أحيانا السوَر التي أقرؤها يوميا في الصلاة، كما أتعرض لضعف البصر لدرجة يغشى الظلام أحيانا أمام بصري. ولكن رغم صحتي المتدهورة أعمل ليل نهار على النحو الذي بينته. ولما كانت مثل هذه الأفكار المذكورة تؤدي إلى بثّ وساوس في قلوب الناس لذلك رأيت أن الرد عليها أمرٌ ضروري.

قد يظن من حضر الجلسة أيضا أنني ما عملت عملاً خلال هذه الأيام سوى إلقاء الخطابين في يومين، غير أنهم لا يدرون كم احتجت للمطالعة لإعداد هذين الخطابين؛ إذ أنني أحرص على تحري آراء المذاهب المختلفة في كل مسألة أبينها أمامكم، مما يضطرني إلى تصفح كثير من الكتب. فلربما قرأت ١٢٠٠ صفحة على أقل تقدير لتحضير الخطاب الذي أنوي إلقاءه اليوم. ولم أنقل أي أمر وارد فيه بلا سند إلا ما ندر. ولم أقرأ هذا الكم الهائل من الصفحات إلا

لمقارنة الأفكار والآراء. لا شك أن هذه الأمور لا تخطر ببالي إلا بمحض فضل الله تعالى، ولكن لا بد من القيام بأمور تجذب فضل الله تعالى، وهذا ما يقتضي التفكير والمطالعة والتدبر. فخطاب كهذا ليس نتاج شغل يوم أو يومين إنما هو نتاج تدبر طويل وتفكير عميق ومطالعة كثيرة. إضافة إلى ذلك إن خطابات الجلسة لا تُعَدُّ للنشر بسهولة، إذ لا يتمكن الناسخ من تحرير الخطابات بشكل كامل عند إلقائها، بل تستغرق كتابتها قرابة شهر ثم أقوم بتصحيح هذه الخطابات المكتوبة حتى يستقيم الترتيب الذي سردت به الموضوع.

أود أن أتحدث هنا عن أمر آخر وهو: أنه يقال عني أنني لا أتيح فرصة اللقاء إلا لعدد قليل جدا من الناس. لقد ذكرت في إحدى الجلسات السابقة أن للقاء فوائد جمة، لذلك على الرغم من ازدياد أشغالي أثناء الجلسة أخصص للإخوة وقتا للقاء، لأنه تنشأ لديّ معرفة شخصية ببعض الذين يقابلونني على انفراد منذ السنة الأولى، وببعضهم في السنة الثانية، وبالآخرين في السنة الثالثة. حتى صرت أعرف الآن ألوفًا من أفراد الجماعة معرفة شخصية وأستطيع التعرف عليهم بكل سهولة. وبالإضافة إلى هذا اللقاء الجماعي أتيحُ للإخوة فرصةَ اللقاء الشخصي حسب الضرورة أى إذا كان هناك حاجة مُلحة له، كأن يريد أحد أن يتكلم في أمر لا يسعه التكلم فيه أمام

الناس. ولكن الذي يحدث في كثير من الأحيان أنه عندما تعطى لبعض الإخوة فرصة اللقاء الشخصي وفق طلبهم يأتون ويقولون جئنا لنسألكم الدعاء لنا. كان بإمكانهم أن يقولوا ذلك في المجلس العام، أما بفعلهم هذا فقد شغلوا من وقتي ربع أو ثلث ساعة تقريبًا.

وعليه فإن هذه اللقاءات أيضا تندرج تحت أعمالي التي أقوم بها. وإني أعطي وقتا لمن يريد اللقاء على انفراد لأمر هام. ولكن بما أنني لاحظت من خلال خبرتي السابقة أن الناس يقولون لي في اللقاء الشخصي ما يمكنهم أن يقولوه في المجلس العام، لذلك أوصيت الآن سكرتيري الخاص أن يتأكد من وجود أمر هام يقتضي ذلك، وعندما يتأكد لي هذا الأمر أعطي وقتا للقاء شخصي لطالبه. يمكنكم إذًا من خلال الأعمال التي عدّدها أمامكم أن تقدّروا أنني لا أجد لحظة فراغ في أوقاتي كلها. أنا مضطر لأشتغل ضمن حدود الـــ ٢٤ ساعة اليومية، ولا أقدر أن أصيِّر اليوم ٤٨ ساعة، ولكن باستطاعتي أن أصرف أقل وقت ممكن في قضاء الحوائج الضرورية كالأكل والشرب وقضاء الحاجة والنوم وغير ذلك ولكن لا يمكنني أن أغلق باب هذه الحوائج الضرورية بشكل نهائي. ففي ظل هذه الظروف والأوضاع لو أعطيت لأحد وقتا للقاء شخصي دون أن يكون ثمة داع قوي له فلا بد أن يسبب ذلك حرجًا في أعمالي الأخرى.

ثم لاحظت أيضا أن شخصًا يأتيني للقاء فيظل ماسكا يدي لمدة ربع ساعة أو ثلثها ويكرر: رجاء ادعُ لي. وأنا لا أستطيع أن أردّ عليه كل مرة بل أحيانا أقول له: سوف أدعو لك، ثم أصغي إليه بصمت. لكنني أريد أن أضع حدا لهذا الأمر أيضا، لأن الامتناع عنه يفيدكم في النهاية، إذ سأتمكن من تخصيص الوقت الكافي للأمور الهامة الأخرى للجماعة. فلو طلب أحد مني الدعاء - خلافا للأسلوب المذكور آنفا - دون تضييع وقتي فسينال مني انتباها أكثر لأنه بهذه الطريقة يقدّر وقتي وأعمالي. ولكن الذين يظلون ماسكين يدي لمدة طويلة فلا أعرض عنهم بل أقابلهم بوجه طلق وبشوش ولكن عليهم أن يعرفوا أنه لا بد أن يتأخر أمر من أمور الجماعة بسبب هذا الأسلوب ولا بد أن يثير ذلك قلقي واضطرابي، وإنني أريد أن أضع حدا لمن يتبع هذا الطريق في اللقاء. ولكن إذا كان ثمة أمر هام فإنني مستعد كل الاستعداد للمقابلة في أي وقت من أوقات الليل والنهار. إنني أعتبر اللقاء أمرا ضروريا جدا، وفي الوقت نفسه يخطئ من يتسبب في إهدار وقتي، كما يخطئ من يقول بعدم ضرورة اللقاء، بل ينبغي عليكم القدوم إلى هنا والاجتماع بي في لقاء جماعي كلما سنحت لكم الفرصة. ولكن إذا كان ثمة أمر خاص ولا يمكن

ذكره أمام الناس كوجود مرض معين أو ظروف خاصة أو أيّ أمر هام آخر فإنني عندها جاهز للقاء على انفراد.

ولقد تكرّر حدوث ظاهرة أخرى في هذه اللقاءات الآن أيضا وهي أن أفراد الجماعة يأتونني بأسئلة مكتوبة لديهم فيطرحونها علي ويطالبونني بالرد عليها أثناء اللقاء. يؤسفني كثيرًا تصرفهم هذا إذ لو طرحوها في المجلس العام لاستفاد غيرهم أيضا، كسؤال أحدهم: كيف يمكن المحافظة على التركيز في الصلاة؟ لا بد أن تكون الإجابة على هذا السؤال مفيدة للآخرين أيضا ولكن السائل يطرح مثل هذا السؤال في اللقاء الشخصي ويحرم عامة الناس من الاستفادة منه.

فلا يهدف قولي هذا إلا إلى وضع حد لمثل هذه الطرق في اللقاء، وإلا فإن أمر اللقاء قد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة ١١٩) أي يجب أن تكونوا على لقاء دائم مع الذين يحظون مع الله تعالى بعلاقة صادقة وحقيقية. فاللقاء ضروري جدًّا لدرجة أن المسيح الموعود عليه السلام كان يقول: "من لا يأتي للقائنا نخشى على إيمانه."[1]

[1] انظر الملفوظات ج ١ ص ٢٠٥. (الناشر)

ومن ناحية أخرى يحضر هنا بعضهم ويجلسون في الخلف بعيدًا ثم يغادرون ظانين أني رأيتهم. فأوضح لهم بأن ذلك يصعب علي كثيرًا لأن الله تعالى أعطى أفراد عائلتنا عيونًا مبطّنة لا نتمكن من فتحها كثيرا ولا نستطيع بسهولة أن ننظر نحو الأعلى حيث تُثقِل البطانة طبقةَ الجفون العليا فتجعلها منسدلة وفتحُها الكامل يسبب ألمًا. فأنصح كل من يأتي إلى هنا أن يقابلني ويخبرني عن مدة بقائه ويطلعني على أحواله وأحوال منطقته مما يزيدني اهتمامًا بهم ويبعثني على الدعاء لهم.

هذا، وأريد أن أزيل شبهة أخرى وهي متعلقة بظنّ بعض الإخوة الذين يقولون: ما الفائدة من الكتابة إلى الخليفة لطلب الدعاء إذ أنى له أن يقوم بالدعاء لهذا العدد الهائل من الناس؟

فمن يظن أنني كلما تلقيت رسالة من أحد الإخوة جلستُ نصف ساعة أو ساعة في الخلوة للدعاء له فإنه يجانب الصواب إذ لا أستطيع فعل ذلك. أتلقى يوميا نحو مئة رسالة للدعاء بما فيها رسائل أهالي قاديان أيضا، أضف إلى ذلك طلبُ بعض الإخوة مني أن أدعو لهم باستمرار؛ فلو أضفنا هذه الرسائل أيضا إلى البريد اليومي لازداد مجموع طلبات الدعاء.

فبالإضافة إلى الدعاء للإسلام وما يحتاج إليه في هذا العصر لو خصصت دقيقة واحدة لكل واحد من أصحاب رسائل الدعاء لاستغرق الدعاء ثلاث أو أربع ساعات في المرة الواحدة. لذلك فإنني أفعل كما كان يفعل المسيح الموعود عليه السلام؛ إذ كان دأبه الدعاء لأصحاب الرسائل لدى قراءتها مباشرة. هذا الأسلوب يؤدي إلى قراءة الرسائل بتأن واستيعاب أكثر، وعليه فقد حصل معي غير مرّة أنه بعد قراءتي للرسائل إذا قرأ سكرتيري الخاص إحداها قلت له ليس ذلك ما ورد فيها بل نص الرسالة كذا، وتثبت صحة قولي في النهاية. خلاصة القول، أركز على قراءة الرسائل أكثر حتى أكون مستوعبا لمضمونها، وأتبع هذا الأسلوب للدعاء. والطريق الثاني الذي دأبت عليه هو أنني أدعو في النوافل؛ وإن كنت قد واظبت منذ فترة يسيرة على الدعاء في كل صلاة فرض أيضا لازدهار الجماعة وإزالة العقبات والمشاكل التي تعترض سبيلها. وفي هذا الدعاء أصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المسيح الموعود عليه السلام وأدعو أن يرفع الله درجاته وأن يحقق بنا جميع الأهداف التي بعثه الله تعالى لأجلها، وأن يقبل صدقَه غيرُ المؤمنين به والمعترضون عليه، وأن يزيل الله تعالى جميع المشاكل والصعوبات التي تتعرض لها الجماعة ويهيئ من لدنه أسبابا لازدهارها. كما أدعو يوميا منذ أن حصلت أحداث الاستشهاد في

كابول أن يعين الله تعالى إخواننا القاطنين في تلك البقاع وينصرهم ويحفظهم من شر الأعداء. كما أدعو أن ينشر الله تعالى صدق الإسلام في الشرق والغرب ويُدخل فيه الناس كافة. ثم أدعو للجماعة كلها وخلاصة هذا الدعاء هو أن يزيل الله تعالى من طريقهم جميع أنواع العقبات المالية والمادية والأخلاقية والعلمية والروحانية ويهيئ لهم أسبابا للرقي والازدهار. ثم أدعو لبعض القضايا الهامة للجماعة. ثم أدعو: اللهم نجّ كل من كتب إلي سائلا الدعاء من الآلام والأحزان، وافتح أمامهم أبواب الراحة على مصراعيها، وهنا أدعو لبعضهم - بذكر أسمائهم — من الذين قد خلّفت معاناهم أثرًا خاصا في قلبي.

ثم أدعو هذا الدعاء: اللهم إني أسألك أن تنــزل أفضالك لا على أفراد جماعتنا الموجودة الآن فقط بل على أولادهم أيضا. ثم أدعو لجميع العاملين والموظفين في دوائر الجماعة أن يهبهم الله تعالى البصيرة لأداء واجباهم وأن يمنّ عليهم بأفضاله ويعلمهم طرق المواساة والتعاون مع الآخرين وأن يجعل أفراد الجماعة مثلا للتعاون والتراحم فيما بينهم. ثم أدعو للمبلغين ولأهاليهم. ثم أدعو لمن يرزحون تحت وطأة المصائب والمعاناة. أبتهل بكل هذه الأدعية خمس مرات يوميا في الفروض والنوافل أيضا. مع كل ذلك لو قال

أحد إنني لا أدعو للجماعة فقوله هذا يشابه قول قائل في وضح النهار إن الشمس ليست طالعة. إن تسعين بالمئة من الناس لا يدعون لأنفسهم كما أدعو لهم.

بلغني أن بعض الناس يقولون: بما أنه يجوز الاختلاف مع الخليفة لذلك نختلف معه في هذا الأمر وذاك.

لقد ذكرت لكم فيما سبق وأكرر قولي ههنا أيضا إنه يجوز الاختلاف مع الخليفة، ولكن لكل قول دلالة معينة وليس من الحكمة في شيء تحميله ما لا يحتمل. هل يمكن لأحد القول إن كل ما يراه الطبيب صحيحٌ في جميع الأحوال؟ كلا! بل الأطباء أيضا يخطئون عشرات المرات، مع ذلك لا يقول أحد: من الآن فصاعدًا سنكتب وصفتنا الطبية بأنفسنا لأنه من الممكن أن يخطئ الأطباء، كلا، إن رأي الطبيب لا بد أن يكون هو الأصوب من رأينا لأنه درس الطب بشكل منهجي. كذلك المحامون، فإنهم أيضا يخطئون عشرات المرات، مع كل ذلك لا يؤخذ في المحاكم والقضايا إلا برأيهم. كذلك فمن يتقن عمله أكثر من الآخرين لا بد أن يكون رأيه في ذلك المجال أصوب من غيره. وعليه فلا بد أن يكون للاختلاف حدود. يجب إذًا على من يبايع على يد الخليفة أن يفهم أن الله تعالى بنفسه يجعل الخليفة. وإن الخليفة يعمل ليل نهار على

إرشاد الناس والتفكير في المسائل الدينية لذلك لا بد من احترام رأيه في المسائل الدينية. ولا يجوز لأحد الاختلاف مع رأيه إلا إذا ثبت عنده بما لا يقبل الشك - كما في ١+١ = ٢ - أن قوله هو الأصوب. بالإضافة إلى ذلك ثمة شرط آخر وهو أن يعرض اختلافه على الخليفة أولا قائلا: إن أمرا كذا وكذا يثير لدي شبهات، ويطلب من الخليفة إزالة تلك الشبهات والإشكالات، كما يقول المريض أحيانا للطبيب إنني أشكو من كذا وكذا فعليك الآن أن تمعن النظر في المرض. فيجب على من يختلف مع الخليفة عرضُ هذا الاختلاف عليه بدلا من إشاعته بين الناس؛ فلو أجيز لكل واحد أن ينشر كل ما يخطر بباله لما بقي للإسلام من باقية، لأنه لا يقدر كل شخص على اتخاذ القرار الصائب. ولو كان ذلك صحيحا لما ورد في القرآن الكريم أنه إذا جاءكم أمر من الأمن أو الخوف فعليكم أن تردوه إلى أولي الأمر[2] . أفلا يخطئ أولو الأمر أيضا؟ لا شك أنهم أيضا يخطئون ومع ذلك يحظى رأيهم بالاحترام. وإذا كنتم تقيمون لرأيهم احترامًا فلماذا لا تكنّون ذلك للخلفاء أيضًا. لا يستطيع المرء أن يصل إلى الرأي السديد في جميع الأمور. في إحدى المرات قال

---

[2] يشير رضي الله عنه إلى الآية التالية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٤). (الناشر)

المسيح الموعود عليه السلام: لو تزوج أحد - حفاظًا على تقواه - من مئة زوجة جاز له ذلك، فسمع أحد هذا القول وأخذ ينشره قائلا: لقد قال المسيح الموعود عليه السلام: لم يعد الاقتصار على زوجات أربع قائما بل يمكن للإنسان أن يتزوج إلى مئة زوجة، فلما سُئل عليه السلام قال: إنما أردت من قولي هذا أنه إذا ظلت زوجات أحد يتوفين وظل هو يتزوج مراعيا التقوى جاز له ذلك مهما كان عمره.

فليس الجميع قادرين على الفهم الصحيح لجميع الأمور، فلا بد من المحافظة على الوحدة ونظام الجماعة بحيث لو اختلف أحد مع أخيه عرض أمره على الخليفة، ومن لا يفعل ذلك بل يضمر مثل هذه الاختلافات ثم ينشرها بين الناس فهذا هو التمرّد بعينه ويجب على مثل هذا الشخص أن يصلح نفسه.

ثم أريد أن أوجه نصيحة أخرى وهي أن النارجيلة أو التدخين شيء سيّئ ويجب على أفراد جماعتنا أن يقلعوا عنه. لقد قال لي بعض الإخوة: إنهم قابلوا بعض الملهمين من الله مع أنهم مدخنون، فتذكرت بهذه المناسبة طرفة كان المسيح الموعود عليه السلام يذكرها وهي أن بعض التجار الهندوس كانوا مجتمعين في مكان ما فأخذوا يقولون: من أكل نصف رطل من حبات السمسم نال جائزة قدرها خمس روبيات. ومرّ بهم فلاح قروي، فقال: هل تشترطون أكل

السمسم بقشره أم مقشورا؟ ذلك لأنه لم ير أي صعوبة في أكل هذه الكمية من السمسم فتُعطى لآكلها جائزة. فقال له التجار الهندوس: دعك من هذا، فلا نتحدث عن أمثالك. إذًا يوجد اختلاف في طبائع الناس بحيث قد يكون الأمر العسير لدى البعض شيئًا هيّنًا ويسيرًا عند غيرهم. وإذا سلّمنا جدلاً أن المدخّن أيضا يتلقى إلهامًا من الله تعالى فلا بد من القول إن إلهاماته لن تكون من درجة عالية وذلك لقول رسول الله ﷺ: مَنْ أَكَلَ ثومًا... فليعتزل المسجد، لأن الملائكة لا تنـــزل بسبب رائحة الثوم. كما قُدّم إلى النبي ﷺ الثوم النيّء فلم يأكله، فسأله أحد الصحابة: هل علينا أيضا الامتناع عن أكله؟ فقال له: كُلْ فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي[3].

فكيف يمكننا أن نسلّم بعد هذه الأحاديث أن الملائكة تنـــزل على من يدخّن السيجارة أو النارجيلة أو غيرها في حين أن رائحة التدخين أسوأ من رائحة الثوم، والرسول ﷺ يقول عن شيء رائحته أقل كراهة من التدخين إنني لا آكله لأن الملائكة تأتيني. فإذا كان الرسول ﷺ يحتاط إلى هذا الحد فإلى أي حد يتوجب أخذ الحذر واجتناب التدخين لمن يدعي تلقي الإلهام أو يرغب في تلقيه من الله

[3] انظر: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة. (المترجم)

تعالى؟ من ذا الذي لا يرغب في تلقى الإلهام من الله تعالى؟ وحيث أنه لا يوجد من يكره تلقي الإلهام فلا ينبغى لاحد أن يدخن.

أقول مرة أخرى: من الممكن أن يتلقى المدخنون أيضا إلهاما ولكن هذا الإلهام لن يكون من درجة عالية، ونستطيع القول بأنه لو لم يكن مدخنا لتلقى إلهاما أعلى درجة من إلهاماته الحالية. قد تنـــزل عليه ملائكة أقل درجة، وقد قال المسيح الموعود عليه السلام: قد تتلقى العاهرة أيضا إلهاما[4]، وعليه أفلا تأتيها الملائكة؟ فيمكن إذًا أن ينـــزل مثل هؤلاء الملائكة على المدخنين أيضا. فإن كان أحد المدخنين يتلقى إلهاما من الله تعالى قلنا له: إنه ليس بأمر يبعث على السرور لأنه لو أقلع عن التدخين لنـــزلت عليه ملائكة أعلى درجة من التي تنـــزل عليه الآن.

بعد هذا أذكر أمرا يتعلق باسمِ واحترام أحد الإخوة. في مجلس الشورى السابق أثير سؤال يتعلق بمدير جريدة "نور"، فقلت - ظنًّا مني أن السؤال قد أثير بإيعاز من المدير نفسه: إذا كان هذا من كلام المدير المذكور فقد أخطأ. إلا أنني علمت فيما بعد أنه لم يقل هذا الكلام. لذلك حذفنا هذا الجزء من التقرير الذي نُشِر لاحقا. ولكن

[4] حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية ج ٢٢ ص ٥. (الناشر)

للأسف نشره مدير جريدة "فاروق" بدون حذف الجزء المذكور، وما يؤسفني أكثر أن ما قلته في ذلك المجلس كان دفاعا عن جريدة "فاروق"، ولكن مع دعمي لها لم يصبر مدير "فاروق" فحرك قلمه ضد أخيه ونشره في جريدته. فبما أن الأمر قد نشر في الجريدة وانتشر بين الجميع لذلك أردّ عليه أمام الجميع في هذا المجلس العام، وإذا استاء أحد من هذا الأمر الآن فيجب أن يتحسر على نفسه التي سوَّلتْ له هذا الفعل[5].

والآن أريد أن أتكلم عن الوضع المالي للجماعة. إن الحالة المالية للجماعة ضعيفة جدًّا. لا شك أن الإخوة يساعدون بكل ما في وسعهم إلا أن ذلك ليس كافيا لتغطية حاجاتنا. ليس القصد من "حاجاتنا" حاجاتي الشخصية بل المراد منها حاجات الجماعة. والحالة الراهنة صعبة للغاية وقد يؤدي طول استمرارها إلى الفتنة. وبيانها كما يلي: لم يتلقّ العاملون في مكاتب الجماعة مرتّبهم منذ ثلاثة أشهر، وأعرف أن خمسة وعشرين أو ثلاثين منهم إلى الآن قد أصابتهم الفاقة. لقد جاءني في أحد الأيام صحابي قديم من صحابة المسيح الموعود عليه السلام وعيناه تذرفان الدموع فأخبرني قائلا: إني أعاني

---

[5] لقد اعترف مدير جريدة "فاروق" بخطئه فورا وندم، فبرّأ ساحته فلا لوم عليه الآن. (منه)

الفاقة والعوز منذ أيام، وكثيرا ما يُغمى عليّ أثناء العمل. لقد هممت أن أهجر بيتي وأتوجه إلى الغابة ولكن لا يسعني قبول هذه الفكرة أيضا لأنها قد تُعتبر انتحارًا.

وتعرفون جيدًا أنه إذا بلغ الوضع هذا الحد فلا يجوز التأجيل في تداركه. لا شك أن الإخوة في فروع الجماعة أيضا يواجهون مشاكل مالية كثيرة فهم أيضا ليسوا أغنياء وأثرياء، ولكنني أسألهم هل يعانون الضيق الذي نتعرض له؟ بلغت حالتي في أحد الأيام درجة شعرت فيها وكأنني سأفقد العزيمة تمامًا وكدت أن أمزّق ثيابي من شدة الهول. لا شك أن الجماعة تُكثر من الإنفاق في سبيل الله مع ذلك لا بد لها أن تتحمل بنفسها كل هذه الأعباء إذ لن نستجدي الآخرين شيئا. فمع أن الجماعة قد تحملت أعباء جمّة ولكني أستطيع القول إن جماعتنا لم تقم بعد بالتضحية المالية بقدر تضحية الجماعات الإلهية قبلها.

لقد زرت في روما ذلك المكان الذي لجأ إليه المسيحيون هربا من اضطهاد أعدائهم وظلمهم. تمتدّ مساحة هذا المكان إلى عشرين ميلا تقريبا، ولقد احتمى فيه المسيحيون تاركين بيوتهم وأموالهم وظلوا يكابدون الجوع والفاقة. وسُمي هؤلاء في القرآن الكريم بأصحاب الكهف والرقيم. كانت إقامتنا هنالك بضع ساعات فقط، ومع ذلك

لم يُطِقْ بعض رفقائنا المكوث هناك، بينما كان المسيحيون قد اضطروا للبقاء هناك لسنوات طويلة في زمن الملك "دقيانوس[6]". إنها أنفاق طينية ضيقة ومظلمة تتخللها قبور بعض أصحاب الكهف الذين قُتلوا على أيدي جنود الملك، وكُتب على شواهدها تاريخ قتل كل واحد منهم. فلقد ترك هؤلاء كل شيء لله تعالى وتكبدوا معاناة تقشعر لتصورها الأبدان اليوم. أما أنتم فتؤمنون بأن المسيح الموعود عليه السلام أكبر درجة من المسيح الناصري عليه السلام، فلا بد أن تكون تضحياتكم أكبر بكثير من أتباع المسيح الناصري عليه السلام، ولكن هل بلغت تضحياتنا حتى هذا الحين المستوى المطلوب؟ لقد قال المسيح الموعود عليه السلام من لا يشترك في نظام الوصية ففيه نفاق[7]، وحدد

[6] دقيانوس هو الملك الظالم الذي حدثت في عهده قصة أصحاب الكهف. (الناشر)

[7] لقد استنتج المصلح الموعود رضي الله عنه ذلك مما كتبه المسيح الموعود عليه السلام في كتابه "الوصية":

"وقد يعترض علينا في ذلك مَن غلب عليه سوء الظن فيعتبر هذا النظام مبنيا على المصالح الشخصية، أو يحسبه بدعة. ولكن اعلموا أن الله تعالى يفعل ما يشاء في شؤونه وأفعاله. ولا ريب أن الله أراد أن يميز المنافقين من المؤمنين بهذا النظام. وإننا لندرك أن الذين يطّلعون على هذا النظام الإلهي، ويسارعون بدون تردد إلى تقديم عُشر أملاكهم في سبيل الله، بل ويُبدون حماسًا أكبر من هذا، إنما يُبرهنون على صدق إيمانهم. يقول الله - عز وجل -: ﴿الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ

مقدار تبرع الوصية بالعُشر[8] وذلك علاوة على التبرع العادي الذي يقوم به حينا بعد آخر. أما أفراد الجماعة الآخرون فيتبرعون بنسبة ١/١٦ من أموالهم، ولكن البعض لا يدفعون بهذه النسبة أيضا، بل يدفعون أقل منها، وبعضهم لا يتبرعون بتاتًا، ومع ذلك يقولون: علينا أعباء كثيرة، فكم هي كبيرة المهمة التي أخذناها على عاتقنا! أما الذين يقولون: علينا أعباء كثيرة فمثلهم كمثل الذي يتوجه ليحمل فيلا ولكنه لدى حمله يقول: ما أثقله! أو كالذي يريد أن يمسك بجمرة من النار إلا أنه يقول: والله إنها لتحرق اليد. هل أدركتم عظم هذه المهمة التي كُلفتم بأدائها؟ وهل وصلتم إلى هذه الحالة المرجوّة والدرجة المنشودة؟ فإذا لم تصلوا بعد إلى هذه المرتبة

يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾.... لقد قدر الله تعالى في عصر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعض الابتلاءات البسيطة أيضًا.. فقد سنّ– مثلا– ألاّ يستشير أحدٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، مهما كان نوع استشارته، ما لم يقدم له هديةً، فكان في ذلك أيضًا ابتلاء للمنافقين. وإننا لَنشعر أن أعظم المخلصين الذين آثروا الدين على الدنيا حقيقةً سيتميَّزون عن الآخرين نتيجةً لهذا الابتلاء، ليكون ذلك دليلا على أنهم صَدَقوا ما بايعوا عليه وبرهنوا على إخلاصهم. لا شك أن هذا النظام سيكون ثقيلا على المنافقين، وسيُفتضح به أمرُهم." (الوصية، الخزائن الروحانية ج ٢٠ ص ٣٢٧– ٣٢٨). (المترجم)

[8] الوصية، الخزائن الروحانية ج ٢٠ ص ٣١٩. (الناشر)

فهل يليق بكم - وأنتم تريدون فتح العالم كله - أن تقولوا: علينا أعباء وأثقال كثيرة. يجب أن يراجع كل واحد نفسه ليرى مدى سعيه لتحقيق هذا الهدف المنشود الذي أصبح لكل أحمدي الهدف الأول الذي خُلق من أجله. لو استعرضتم هذا الوضع ثم نظرتم إلى هذه الأعباء التي تتحملونها إلى الآن لأدركتم أنها لا تساوي شيئا نظرًا إلى عِظَم مهمتكم الرئيسة.

لا أقول إن الجميع لا يستشعرون بعظمة الهدف الذي يريدون تحقيقه، أو لا يعرفون حجم السعي الواجب عليهم بذلُه، بل على عكس ذلك فهناك بعض الإخوة مخلصون جدًّا، فهناك على سبيل المثال أحمدي مخلص يتقاضى راتبا قدره ستون روبية وقد أوصى بثلث دخله، مما يعني أنه يتبرع بعشرين روبية شهريا. فلما أعلنت عن مشروع التبرع الخاص تبرّع بمرتّب ثلاثة أشهر ثم اضطر للاستقراض للإنفاق على نفسه، فكتب لي بعد ذلك رسالة يطلب مني السماح بالتبرع بعُشر دخله بدلا من الثلث إلى حين سداد الدين كله، ولكن بعد خمسة أو ستة أيام تلقيت منه رسالة أخرى أبدى فيها أسفه الشديد على الرسالة الأولى وتعهّد مجدّدًا بالتبرع بثلث مرتّبه. فهؤلاء المخلصون كُثُر في الجماعة بل هم الذين يمثلون الجزء الأكبر منها. وإنني أوجه نصيحتي هذه إلى بقية الأحمديين ليقتدوا

بهؤلاء المخلصين. فينبغي أن نسعى لأن لا ندخر لأنفسنا ذرة واحدة من هذه الدنيا، وأن نعدّ ما أنفقناه في سبيل الله هو المال الباقي لنا. مما يعني أنه يجب علينا بذل كل ما نملكه في سبيل الله تعالى، اللهم إلا النــــزر اليسير الذي نضطر إليه من أجل البقاء على قيد الحياة وستر العورة وغيرها. لاحظوا عظمة هذا الوعد الذي تقطعونه عند البيعة فهو يعني أن أنفسنا وأموالنا وأعراضنا وراحتنا وثرواتنا وعقاراتنا وكلّ ما هو لنا قد صار لله رب العالمين. وهذا هو معنى البيعة وخلاصتها أن كل ما كنتُ أملكه قد صار لله تعالى الآن. فعلى سبيل المثال إذا كان مرتّب أحدنا مئة روبية فهو ليس له بل لله تعالى. تتضمن كلمات "كل ما أملكه" نفسَه أيضا فهي أيضا ليست له الآن، وتشمل تلك الكلمات زوجته وأولاده أيضا فهم الآخرون ليسوا له الآن، وإذا كان يتمتع بمنصب أو مرتبة دنيوية فهي أيضا لم تعد له. فبعد هذا العهد إذا قال أحد ردًّا على مشروع التبرع الخاص إنه عبء وثقل كبير فيجب أن يخبرنا ماذا كان يقصد من عهده عند البيعة؟ وماذا كان يعني؟ فلو قال إنه لم يقصد عند البيعة بيع جسده كله بل أراد إحدى رجليه أو يديه أو لم يقصد جلَّ ماله بل أراد قدرًا معينًا منه فيمكن أن يؤخذ ذلك في الاعتبار، ولكنه إذا تعهد بأن يقدم كلّ ماله ونفسه وأهله وأولاده وجميع مناصبه فكيف

يسوغ لنفسه أن يقول الآن: وقعتُ تحت أعباء ثقيلة؟ والعبء هو أن يضطر المرء لتقديم أكثر بكثير مما وعد، أو يعد بشيء ثم يضطر لتقديم أشياء أخرى إضافية. أما هنا فتعهد بتقديم كل ما لَه، فكيف يمكنه القول عند الوفاء بوعده إنه عبء كبير؟ أتوقع الآن أن الإخوة كلهم سيسعون لإدراك المعنى الصحيح للبيعة والعمل بها، ولن يتأخروا عن إنفاق كل ما يملكونه في سبيل الإسلام، وسيظلون ينفقونه في سبيل الله بانشراح تام ما دامت الحاجة تقتضي ذلك، لأنه لا يكتمل إيمان أحدكم ما لم يشعر بالانشراح التام عندما يضحي بكل ما يملكه في سبيل الإسلام. أدعو الله تعالى أن يوفقكم لذلك.

لما كانت نفقات الجماعة الآن قد زادت عن ميزانيتها بأكثر من أربعين ألف روبية لذلك اقتُرح لحل الأزمة المالية الراهنة أن تبقى نسبة معينة من التبرع الخاص سارية المفعول إلى أن تبلغ التبرعات العادية درجة تغطي فيها كل هذه النفقات. وهذا يعني أن أفراد الجماعة سيظلون ينفقون أربعين بالمئة من مداخيلهم علاوة على مساهمتهم في صندوق التبرع العام. لا أخاف من إحجام بعض الضعفاء عن حمل هذا العبء، لأنهم ليسوا مصدرَ قوة أبدًا بل يتسببون في ضعف الآخرين ويشكلون عقبةً في طريق ازدهارهم،

وانفصالهم خير للآخرين. فلو ارتدّ بعض الناس جراء هذا الأمر لم يضرونا شيئا بل على العكس يزول عبئهم عن كواهلنا.

لا بد إذًا لأفراد الجماعة من تقديم أربعين بالمئة من مداخيلهم الشهرية تبرعًا خاصًا ما لم يبلغ التبرع العادي درجة تغطي كل نفقاتنا. لا تأخذكم الرّيبة إزاء كيفية التمكّن من القيام بهذه الأمور كلها. إني لا أخاطب الأقوياء من الأحمديين بل أوجه كلامي إلى الضعفاء الذين يشكلون عبئا علينا فأقول: إن هذه الجماعة هي جماعة الله تعالى، وقد رأيت هذا المكان حين كان خرابا لا مسكن فيه، وأتذكر ذلك الوقت أيضا حين كان شخص واحد فحسب يخرج مع المسيح الموعود عليه السلام في نزهته وكان ذلك خادمه. أما الآن فلم يعد المسيح الموعود عليه السلام موجودًا بين ظهرانينا، ولكن جماعته كثرت حتى إن خادمه هذا يفر من زحام الناس لكي لا يغشَوه. فمن ذا الذي أحال شخصًا واحدًا جموعًا غفيرة من الناس ويرسل عن طريقهم تبرعات بآلاف الروبيات؟ لا شك أنه الله تعالى وهو الذي سينمي هذه الجماعة في المستقبل أيضا. فلا يسعني أن أتصور للحظة واحدة أن هذه الجماعة لن تزدهر أو أنَّ عقبة من العقبات قد تحول دون رقيها. وأقول لأفراد الجماعة - إلا البعض الذين خُتم على قلوبهم — إن هذه الجماعة ستجتاز مثل هذه الصعوبات بفضل الله

تعالى وسيحقق الله تعالى الفتح والنصر على يد هؤلاء الذين يُعتبَرون ضعافا اليوم، بل إنهم ضعفاء حقيقة. اعلموا أن القائد الشجاع هو من يحقق إنجازات عظيمة بواسطة جنود عاديين. أما هذه الجماعة فهي جماعة الله تعالى، ولا أقول شيئا عن نفسي بل كل مَن تُعهد إليه قيادة هذه الجماعة سيهبه الله تعالى من القوة والتأييد ما يحقق له الفتح والنصر على يد هؤلاء الذين يُستضعفون اليوم. قد يسيئ بعض أفراد الجماعة الظنَّ بأنفسهم إلا أنني أحسن بهم الظن وعسى أن يدنو يومٌ يصدق فيه ظنّي الحسَن بجلاء تام بإذن الله تعالى.

أقول مرة ثانية: إذا كان بعض أفراد الجماعة يعتبرون التبرعات المالية عبئا عليهم فلماذا لا يكثّفون التبليغ؟ متى منعتُهم من أن يزيدوا الجماعة عددًا؟ فلماذا لا يسعون لزيادة عدد أفراد الجماعة حتى يقلّ هذا العبء؟ فهم المقصرون في هذه الحالة أيضا، إذ لو تمكنوا من زيادة عدد أفراد الجماعة لقلَّ العبء المالي تلقائيا. والحقيقة أن هذا "العبء" لا يزول عن الإنسان إلا بعد موته، أما في حياته فلا يزول أبدًا.

وبعد هذا أريد أن أبشر الإخوة أنه في هذا العام قد توطدت فروع الجماعة في بلدين آخرين أيضا، أحدهما بلد لم يحرز فيه المسيحيون بعض النجاح إلا بعد تبشير دام مئة سنة تقريبا، ولكن

مبلغنا قد وجد فيه خمس عشرة أو ست عشرة نفسًا ذوات طبائع سعيدة نتيجة تبشيره لبضعة أيام فحسب، ألا وهي منطقة جزر "سومطرة" و"جاوه". أما البلد الثاني فمجرد التلفظ باسمه يبثّ حماسا واندفاعا في عروقي، ألا وهو "إيران". إنه لبلد ينتسب إليه المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، فالرسول الكريم ﷺ تنبأ أن المسيح الموعود سيكون فارسي الأصل[9]. لقد دخل في الأحمدية من عاصمة إيران قرابة عشرين شخصا. ومما يبعث على السرور أكثر أن مبلغنا المُوفد إلى هناك لا يتقاضى من الجماعة شيئا ينفق منه. إنه الشاهزاده عبد المجيد من سكان "لدهيانه" وهو من نسل "شاه شجاع"، وقد نذر حياته لخدمة الدين فأرسلته إلى إيران. وعلمت من رسالته الأخيرة أن بعض كبار الناس وأشرافهم – الذين يتبعهم ألوف من الناس – أيضا أصبحوا يحققون في أمر الجماعة.

وهناك أمر آخر أريد أن أطلعكم عليه ويتضح منه كيف ينشر الله تعالى دعوة جماعتنا. إن حركة تمرد الأكراد التي حصلت في تركيا العام الماضي قادها شخص يُدعى الشيخ سعيد[10]. وكانت

---

[9] البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الجمعة باب قوله ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾. (الناشر)

[10] الشيخ سعيد البرزاني. (المترجم)

هذه الحركة واسعة النطاق لدرجة جمع الأتراكُ ثلاثمئة ألف من الجنود للقضاء عليها، واضطروا إلى تعيين شخص مثل رئيس الوزراء عصمت باشا[11] قائدًا لهذه الحملة. فلما قُبض على الشيخ سعيد قال في بيان له مشيرا إلى حادثة معينة: لولاها لما اشتركتُ في حركة التمرد هذه، لأنني كنت قد عقدت العزم على السفر إلى الهند وتبليغ الإسلام بعد انضمامي إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية. لقد قُتل هذا الشخص على يد الأتراك دون أن يتمكن من تحقيق رغبته هذه ولكن الذي يظهر من هذا الحدث هو أن بعض كبار زعماء هذا البلد قد قبلوا الأحمدية. يؤسفني جدًّا أن هذا الشخص لم يكن على اطلاع واسع على تعليمات الجماعة وإلا ما اشترك في التمرد على الحكومة.

لقد أمرت - نظرًا إلى المشاكل المالية - بعدم بدء أي مشروع جديد ما لم تتحسن الأوضاع المادية للجماعة. لقد قللنا من نفقات مركزنا في أمريكا، كما سنركز في العام المقبل على نشر الجماعة في الهند ليزداد عدد أفراد الجماعة هنا فيتحملوا أعباء أكثر. ولكن بالإضافة إلى حث الجماعة على التضحيات المالية الكثيرة يجب إيجاد

---

[11] عصمت أونونو، وهو شغل منصب رئيس الوزراء لعدة مرات وكان الرئيس الثاني لتركيا. (المترجم)

الوسائل الدافعة نحو هذه التضحية وتنميتها أيضا. يقال في اللغة الإنجليزية: يجب عدم قتل الدجاجة للحصول على البيضة الذهبية منها. لذلك لا بد من توجيه الجماعة من أجل ازدهارها في الأمور المالية. فمن الأمور الضرورية في هذا الخصوص أن يتعاون الأحمديون فيما بينهم في الصناعات المختلفة كصناعة الحِبر والصناديق والإزارات والقبعات وغيرها. فإذا اشترى التجار الأحمديون البضائع من الصنّاع الأحمديين في أماكن مختلفة أدى ذلك إلى الزيادة الهائلة في مبيعاتهم وازدهار تجارتهم وبالتالي يمكن أن يعود هذا الازدهار بمنافع كثيرة على الجماعة أيضا. فإذا اشترى التجار الأحمديون بضاعتهم من الصناع الأحمديين، وتوجه الزبائنُ الأحمديون إلى محلات الأحمديين لشراء حاجياتهم لاستفادت الجماعة كثيرا. ويجب على المبلّغين تقديم المساعدة في هذا الخصوص، فعليهم عند زيارتهم لمنطقة ما جمعُ المعلومات عن الأحمديين الصُّناع ثم إخبار الأحمديين في مناطق أخرى عن ذلك وحثّهم على أن يشتروا بضائعهم من الأحمديين. وأرى أن إحدى السبل لترويج هذه الفكرة هي إقامة معرض خلال أيام مجلس الشورى يعرض فيه الصناع الأحمديون مصنوعاتهم ليطلع عليها أفراد الجماعة ويعرفوا إمكانية توفيرها في مناطقهم فيقدموا طلباتهم

حسب الحاجة. بالإضافة إلى ذلك يجب على الأحمديين أن يساعدوا في توظيف الأحمديين العاطلين عن العمل. لقد أبدى بعضهم نشاطًا في هذا المجال في حين أن معظمهم مقصرون فيه. كما يجب على أفراد الجماعة زيارة المدن التجارية الكبيرة لتعلّم أمور التجارة والصناعة.

هناك أمر ضروري آخر وهو مساعدة أولياء المتوفين. لا بد أن يكون ثمة صندوق خاص لإعانة مثل هؤلاء المحتاجين الذين يلبون مناشدتنا من أجل التضحية المالية فيبذلون كل ما يملكونه ولا يبقى لديهم عند موهم شيء يتركونه لذويهم، ولا بد أن يكون التبرع فيه اختياريا لا إلزاميا، ويجب أن توضع قاعدة بهذا الخصوص مفادُها أن من التزم بالتبرع فيه بمبلغ معين فسيعطى بعد فترة معينة قدرًا من المال مرة واحدة، أو إذا توفي فسيعطى أهله مبلغًا ما. فإذا استطعنا فتح مثل هذا الصندوق تمكنّا من إعالة أهالي المرحومين، ولا أستطيع الإسهاب في هذا الموضوع أكثر، وأريد أن يُطرح في مجلس الشورى ويُعمل به بطريقة لا تتحول ربًا ولا تأمينًا، وفي الوقت نفسه يحقق الغرض المطلوب.

ويجب أن تأخذ الجماعة قرارًا بأنها سوف تقدم معاشًا لذوي المرحومين إلى أن يبلغوا سنًّا معينًا، أو أنها تتحمل نفقات أولادهم حتى بلوغهم مستوى دراسيًا معينًا.

مثل هذه المشاريع ضرورية أيضا لتحسين الحالة المالية للجماعة، وسنفكر في الاقتراحات الأخرى التي لا غبار عليها من الناحية الشرعية ونتمكن من خلالها تدبير أمور ذوي المرحومين بطريقة معقولة، هذا مما سيجعل أفراد الجماعة يعتمدون على الجماعة — وإن كان المؤمن لا يعتمد حقيقةً إلا على الله - ولا يخافوا على أولادهم عيلةً من بعدهم.

والآن أبدأ ذلك الموضوع الذي أشرت إليه في البداية. كنت أجد في قلبي رغبة عارمة لبيان هذا الموضوع منذ مدة طويلة. إنه لموضوع هام جدًّا تنشأ لدى الجميع تساؤلات حوله، وقد سألني عنه كثير من الإخوة وطلبوا مني وصفة مجربة بخصوصه، ألا وهو:

وسائل لتجنُّب الآثام والسيئات والتحلي بالحسنات

والرد الطبيعي على هذا التساؤل هو اعملوا الصالحات واكتسبوا الحسنات واجتنبوا السيئات والموبقات. ولكن يقول كثير من الإخوة بناء على تجاربهم: التزمنا بتلاوة القرآن وقراءة الأحاديث ومطالعة

كتب المسيح الموعود عليه السلام، وسعينا جاهدين لتجنب الذنوب، ولكن لم نتمكن من إحراز أي نجاح، فما هو الحل لوضعنا الحالي؟ هذه هي النقطة التي نجعلها منطلق بحثنا اليوم أي: كيف يتمكن المرء من تدارك هذا النوع من الضعف الذي يسبب إخفاقَه في اجتناب الذنوب رغم سعيه لتلافيه ورغبته في الابتعاد عنه.

لما بدأتُ بكتابة ملاحظاتي حول هذا الموضوع فطِنت إلى أنه يلتقي في بعض جوانبه بموضوع العرفان الإلهي أيضا، مما حداني إلى العودة إلى خطابي المعنْوَن: "العرفان الإلهي" وعلمت أنني قد وعدت فيه بتناول هذا الموضوع الذي أنا بصدده الآن، وها أنا وبفضل الله تعالى أفي بوعديَ الذى قطعته.

عند بداية تفكيري في هذا الموضوع تذكرت رؤيا رأيتها منذ أمد بعيد جدًّا لعلها كانت بعد شهر تقريبا من وفاة المسيح الموعود عليه السلام إلا أنه لم يخطر لي عندها أي تفسير لها. وكانت الرؤيا كما يلي:

رأيتني جالسا على المصلّى لأداء الصلاة وبيدي كتاب أُخبرت عنه أنه تأليف الشيخ عبد القادر الجيلاني واسمه "منهاج الطالبين".. أي الطريق الذي يسلكه الواصلون إلى الله. قرأت في الرؤيا هذا الكتاب ووضعته في مكان ما، ثم خطر ببالي أن أقدمه للخليفة الأول رضي الله عنه، فبحثت عن الكتاب فلم أجده، بل وجدت مكانه كتابا آخر،

وعندها جرت على لساني الكلمات التالية: "وما يعلم جنود ربك إلا هو."

خطر ببالي بعد هذه الرؤيا البحث فيما إذا كان للشيخ عبد القادر الجيلاني كتاب بهذا الاسم أم لا، فسألت الخليفة الأول رضي الله عنه فقال: ليس له كتاب بهذا الاسم ولكنه ألّف كتابًا آخر باسم "غُنية الطالبين"، ثم علمت فيما بعد أنه لا يوجد لأحد كتاب بهذا الاسم. فوقع في نفسي لعل الله يوفقني لتأليف هذا الكتاب، ولعل المراد من مؤلفه "عبد القادر" هو أن هذا العمل لن يكون نتيجة جهدي وثمرة فكري وإنما يحتوي على أمور يعلّمنيها الله تعالى. لأجل ذلك عنونتُ الموضوع الذي سأتناوله بـــ: "منهاج الطالبين". سأتجاوز لدى سردي لهذا الموضوع بعض جوانبه المتعلقة بالعرفان الإلهي وقضية النجاة، أو سأتعرض لبعضها بشكل مختصر إن احتجت إلى ذلك لتسلسل الموضوع. هذه هي الجوانب العلمية لهذا الموضوع وسأتناول اليوم جوانبه العملية أيضا.

عند التفكير في هذا الموضوع الهام لا بد أن نعلم الغرض الذي خُلق الإنسان لأجله. ولقد بين الله تعالى ذلك بنفسه إذ قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٧).. أي خلقنا الإنسان لغرض واحد فحسب، وهو أن يصبح عابدًا لنا. والعبادة

في اللغة العربية تعني التذلل، والتذلل يعني قبول نقش الآخر وصبغته. وعليه فالعبد الكامل هو من يقبل على نفسه حكومةَ معبوده ونقشَه. فإذا كانت الغاية من خلق الإنسان هي قبول نقش الله تعالى فلا يسعنا تحقيقها بدون التخلق بأخلاق الله تعالى. ولقد بعث الله تعالى أنبياءه لتحقيق هذه الغاية، فقد ورد في القرآن الكريم دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة ١٣٠). يتضح من هذه الآية أن الهدف من بعثة هذا الرسول هو أن يقوّي المؤمنين إيمانًا وعلمًا، ويعلمهم الشريعة والحكمة.. أي يعلمهم طرق العمل بما جاء به من تعليم، ويزكيهم لدرجة يتأهلون بها للوصول إلى حضرة الله تعالى.

ليست هذه القضية قضية عادية، بل مصيرية بالنسبة إلى جماعتنا، لأن نبيًّا من الله قد بُعث فينا وتلا علينا آياته فآمنّا به. ولكن ما فائدة هذا الإيمان إذا بقينا بعده أيضا ملوثين بالآثام نفسها؟

لقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام ذات مرة في أحد مجالسه الدرجات الروحانية العظيمة التي يجب على المؤمن أن يتحلى بها، وكان الصحابي المخلص المولوي برهان الدين الجهلمي موجودًا فيه، فما أن انتهى عليه السلام من خطابه حتى أجهش المولوي الموصوف

بالبكاء ثم قال للمسيح الموعود عليه السلام: لقد كنت وهابيًا فيما سبق فتحملت الضربَ مراتٍ عديدة بجريرة نشر أقوال النبي ﷺ، ثم بُعثتَ فآمنا بك فتعرضنا للضرب مرة أخرى ورُشقنا بالحجارة وتكبدنا الخسائر المادية على يد المعارضين (كان المولوي المحترم يتكلم باللغة البنجابية وترجمتُ كلامه إلى الأردية، غير أنه لا يمكنني نقل الجملة التالية باللغة الأردية لذلك أقولها بالبنجابية حيث قال ما معناه:) مع كل ذلك أشعر اليوم أنني لا أزال جاهلا ولا أصلح لشيء.

فلو ظلّ أحد لا يصلح لشيء حتى بعد الإيمان بنبي من الأنبياء فكأن إيمانه هذا لم يُجدِهِ نفعًا. فلا بد إذًا أن نحدث في أنفسنا تغييرًا يُشعرنا بأننا وضعنا يدنا في يد رجل رباني بل وضعناها في يد الله تعالى، فلسنا على شيء ما لم نحظَ بهذه الحالة. انظروا ماذا كان المسيح الموعود عليه السلام يتوقع منا وكيف يوجه لنا تحذيرا خطيرا ناصحًا إيانا بخصوص تزكية النفس:

"تزكية النفس تعني أن يراعي الإنسان حقوق الجانبين.. حقوق الخالق ومخلوقِه.. أما حقوق الخالق، فكما يؤمن بلسانه بأنه واحد لا شريك له كذلك يجب أن يؤمن به بأعماله، فلا يعتبره مشابهًا لمخلوقه؛ أما حقوق المخلوق فينبغي ألا يكنّ بغضا ولا حقدًا لأحد، ولا يعيث فسادًا ولا يحيك كيدًا. ولكن لا يزال بلوغكم هذه

الدرجة بعيدًا لأنه لم تصفُ بعدُ علاقاتُكم فيما بينكم إذ يشكو بعضهم ويغتاب بعضهم الآخر ويأكل بعضهم حقوق الآخرين. يريد الله تعالى ألا يكتب لكم أي نجاح وفلاح ما لم تصبحوا إخوانا فيما بينكم وكأعضاء الجسد الواحد. إن لم تصفُ علاقة الإنسان مع إخوانه فلا تصفو مع الله أيضا. لا شك أن حق الله أكبر ولكن يستطيع الإنسان أن يدرك ما إذا كان يؤدي حقوق الله تعالى أم لا من خلال أدائه حقوق مخلوق الله أوإحجامه عنه. فمن لا يستطيع تصفية علاقته مع إخوته لا يتمكن من تصفيتها مع الله تعالى أيضا. إنه ليس بأمر سهل بل هو بالغ الصعوبة. ثمة بون شاسع بين الحب الصادق وبين النفاق. اعلموا أن للمؤمن على أخيه حقوقًا كثيرة، منها أن يعوده إذا مرض، ويصلي عليه إذا مات، وألا يتشاجر معه على أتفه الأمور بل يصفح عنه ويغض الطرف عن أخطائه. يريد الله تعالى ألا تبقوا على ما أنتم عليه، وستُدمَّر الجماعة إن لم تكن فيها الأخوة الصادقة.[12]

أستغفر الله ربي من كل ذنب وأتوب إليه.

---

[12] جريدة "بدر" الصادرة بتاريخ ٩ يناير ١٩٠٨ العدد الأول ص ١٢. (الناشر)

هذه هي نصائح المسيح الموعود عليه السلام بخصوص التقوى. فمن واجبنا السعي للتحلي بها من أجل تحقيق الهدف من خلْقنا ومِن بعثةِ سيدنا رسول الله ﷺ ومن بعثة المسيح الموعود عليه السلام.

والآن أقدم تعريفا وجيزًا للإنسان الكامل.

فكما يجب أن نعرّف في علم الطب من هو الإنسان الصحيح غير المعتل كذلك يجب أن نعرّف أولا مَن هو الإنسان الكامل من الناحية الروحانية.

إن أهم ما يحتاجه الإنسان للوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل سلامة علاقته مع الخالق والمخلوق على حد سواء، ولا بد للإنسان الكامل من الالتزام بهذين الأمرين الهامَّين اللذين ذكرهما المسيح الموعود عليه السلام.

علاقة الإنسان مع المخلوق تنقسم إلى جزأين:

١. أن تبقى علاقته مع نفسه سليمة كما قال النبي ﷺ: لنفسك عليك حق.[١٣]

---

[13] مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم الحديث ٦٥٨٣. (الناشر)

٢. أن تكون علاقته مع المخلوقات الأخرى سليمة أيضا.

وينقسم القسم الأول - وهو حق الإنسان على نفسه - إلى جزأين:

أحدهما: أن يجتنب أمورًا تُفسد قلبه.

ثانيهما: أن يلتزم بما يؤدي إلى طهارة قلبه.

أما القسم الثاني (وهو علاقته مع غيره من المخلوقات الأخرى) فله فروع ثلاثة وهي:

١. أن تكون علاقة الإنسان طيبة مع بني جنسه على مستوى الأفراد.

٢. أن تكون علاقته طيبة مع بني جنسه على مستوى الجماعة، ويعني ذلك تعاونه مع بني جلدته ضمن حدود قوانين بلاده.

٣. أن تكون علاقته طيبة مع المخلوقات الأخرى أيضا.

وهناك فرعان آخران يلتحقان بهذه الفروع الثلاثة وهما:

أ. أن يجتنب ما يفسد علاقته مع بني جنسه أو مع المخلوقات الأخرى.

ب. أن يلتزم بما يؤدي إلى بناء علاقته مع بني جنسه والمخلوقات الأخرى على مبدأ الإحسان.

أما علاقة الإنسان مع الله تعالى فلها جانبان اثنان أيضا:

أحدهما: أن يجتنب أفعالا تؤدي إلى قطع علاقته بالله ﷻ.

وثانيهما: أن يسعى للقيام بأعمال تساعد على تعزيز علاقته بالله تعالى.

أشرح لكم بعد سرد هذا التقسيم معنى الدين لأنه جوهرُ هذه الأمور كلها.

وأذكر بالمناسبة أن الدين شقّان: الأخلاق والروحانية. أرى أن كثيرا من الناس قد أخطأوا في اعتبارهم الأخلاق دينًا، فراحوا يقولون عمن أخلاقه حسنة بأنه صالح وتقي، والحقيقة أن نِصفَ كلامهم صحيح إذ لا يمكن وصف شخص خلوق بأنه صالح ومتدين وتقي.

تعريف الأخلاق

الأخلاقُ هي ما يتعلق من أعمال الإنسان ببني جنسه، أما ما يتعلق بالله تعالى من أعماله فيسمّى بالروحانية. من يكذب على العباد فهو سيئ الأخلاق، أما من يكذب على الله تعالى فروحانيته ميتة. فمَنْ سلِم له هذان الجانبان فهو المتدين والتقي. فإنّ توافُق

الأخلاق مع تعاليم الشريعة والتقاءها بالروحانية يسمى دينا. أما صدور الأعمال نفسها من شخص متحضر - دون أن يكون فيها نصيب من الروحانية - فيجعله خلوقًا فقط.

أتناول أولا موضوع الأخلاق ثم أُفصّل في موضوع الروحانية. يجب أن تتذكروا الفرق بين الأخلاق والروحانية، فإن أعمالنا وتصرفاتنا في تعاملنا مع الناس تسمى أخلاقا، أما الأعمال والأفعال تجاه الله تعالى فتسمى بالروحانية، وعليه فمع أن موضوع الروحانية سيتضح تلقائيا عند شرحي للأخلاق بيد أني سأحرص على تبيان الفرق بينهما حيثما لزم الأمر.

ما هو الخُلق؟

يجب أن نُعرّف ما هو الخُلق قبل التفكير في قضية الأخلاق. لقد أخطأتْ المذاهب الفكرية والفلسفات - إلا الإسلام - في فهمه إذ عرّفوا الخُلق بتعريفات عجيبة غريبة، منها على سبيل المثال:

١) الخُلق هو ملَكة راسخة تصدر عنها الأفعال من غير حاجة إلى فكر ورويّة، أو هي ملكة يمتنع بها الإنسان عن ارتكاب أفعال من غير حاجة إلى فكر ورويّة.

٢) ويرى البعض أن الخُلق مادة صالحة متجذرة في نفس الإنسان لتُعرّفَه على ذات الله تعالى.

٣) ويرى البعض الآخرون أن الخُلق مادة تجذرت في نفس الإنسان بعد ممارسته أمورًا معينة لفترات طويلة، ثم توارث الناس هذه المادة جيلا بعد جيل. هذا ما توصل إليه الفلاسفة الأوروبيون.

أما أنا فأرى أن الخُلق اجتماع الغريزة مع قوة الفكر، ويصدر عن شخصية قادرة على التحكم في هاتين القوتين.. أي إذا شاءت استخدمتهما وإذا شاءت تركتهما. فلو صدرت هذه الأفعال مجردة عن قوة الفكر سُميت غريزة، كما هي في الحيوانات. لا شك أن الحيوانات تحب وتتآلف إلا أننا لا نستطيع أن نسميها خلوقةً بل هذه غريزة فيها. أما إذا ظهرت مثل هذه الأعمال من ذوات خُلقت خصيصًا من أجل إظهار صفات معينة فهي تسمى ظهور القدرة الإلهية كما هو الحال في النباتات والجمادات.

هذا الجزء من الموضوع صعب جدًّا، فإذا لم يفهمه بعض الإخوة الآن فيمكنهم الاطلاع عليه واستيعابه عندما ينشر كتابًا، ولا بد لي من شرحه هنا على صعوبته لأن الجزء التالي من الموضوع يرتبط به ارتباطًا وثيقًا ويتأسس عليه لذلك لا يمكن الوصول إليه إلا مرورا

من هذا الجزء الأول والصعب. أما الجزء الثاني فهو يسير وسيستوعبه الإخوة جميعا.

لقد عرّفت الأخلاق أنها تلك الأفعال التي تصدر عن أناس قادرين على التفكير والتدبر وقادرين على العمل بها أو الامتناع عنها.

والآن أعرّف الأخلاق الحسنة:

اختلف الناس في تعريف الأخلاق الحسنة أيضا.

١) يرى البعض أن الأخلاق الحسنة هي استخدام القوى الإنسانية تحت رقابة العقل.

٢) ويرى الآخرون أنها الأفعال التي تسرّ الإنسان سرورًا حقيقيا.

٣) ويرى غيرهم أنها الأفعال التي رُوعي فيها جانب الإيثار، يعني يوثر فيها صاحبُها غيرَه على نفسه فيفيده ولو كان به خصاصة.

٤) ويرى البعض الآخر أنها أفعال يتم صدورها تحت رقابة العقل ولكن بهدف الانتفاع الشخصي والإيثار معًا.

٥) ويقول المسلمون الصوفيون هي الملكة الراسخة في النفس تصدر عنها الأفعال الجميلة والمحمودة عقلاً وشرعاً.

هذا ما عرّف به الإمام الغزالي الأخلاقَ الحسنةَ. ولكن أرى أن هذا التعريف يحتاج إلى إصلاح طفيف وهو: بالإضافة إلى كونها جميلة

ومحمودة عقلا وشرعا يجب أن يكون فاعلها قد قام بها بإرادته ورضاه وقدرته عليها. فلا تُعتبر الأخلاقُ حسنةً إذا خلت من هذا الشرط، مثلا لو أعطى أحد غيره روبية في حالة شبيهة بالنوم في حين أنه يتهرب في اليقظة من كسب الخير والتصدق على الآخرين فلا يمكننا اعتبار صدقته في حالة النوم خُلقًا حسنًا لأنه لم يقم بها عن إرادته.

فالأخلاق الحسنة هي تلك الأفعال المحمودة عقلا وشرعا والتي تصدر عن قصد وإرادة وقدرة. وهناك شرط آخر وهو أن تتفق هذه الأفعال مع صفات الله تعالى ولا تخالفها. هذا هو التعريف الصحيح، لأن الحسنة لا تُعتبر حسنة إلا إذا كانت منـــزهة عن النقص والخطأ والعيب. لا يمكننا اعتبار أي شيء طاهرًا بفتوى عقولنا بل الشيء الطاهر حقيقةً هو ما تشهد له الصفات الإلهية وهو ما يستحق أن يسمى بالحسنة الحقيقية لأن ذات الله تعالى وحدها كاملةٌ ومنـــزهة عن كل عيب.

والآن أتناول ذكر المصدر الذي تنبع منه الأخلاق كلها.

لقد اختلف الناس في تحديد منبع الأخلاق، فيرى البعض أن مصدرَها القوةُ الفكرية.. أي العقل والغضب والشهوة؛ أما العقل فهو العامل الرئيس الذي يقوم بدور الفارس، وأما الغضب والشهوة

فهما بمنـــزلة الفرسَين، فإذا قاد فارسُ العقل فرسَي الغضبِ والشهوةِ بصورة صحيحة أنتجَ خُلقًا حسنًا، أما إذا أخطأ فلا يُنتج إلا خُلقًا سيئًا. وقد سمى محي الدين بن عربي هذه القوةَ - أي قوة الفكر والعقل - بالنفس الناطقة، وهو يدعي بأن جميع الأخلاق تنبثق من اجتماع هذه القوى الثلاثة، أي إما عن اجتماع العقل والشهوة، أو عن اجتماع العقل والغضب، أو عن اجتماع الثلاثة معًا؛ فيعتبِر العقلَ بعلاً والشهوةَ والغضبَ زوجَيه، فكما أن المولود نتاج اجتماع الرجل مع المرأة، كذلك الأخلاق عنده نتيجة لاجتماع العقل مع قوة الغضب أو الشهوة.

يرى البعض أن الإنسان مفطور على رغبة شديدة في نيل الفرحة والسرور، وعليه فإن الأخلاق تتولد - وفق هذا الرأي - عند اجتماع هذه الرغبة مع العقل.

وأرى أن المسلمين القدامى لم يفهموا جيدًا منبع الأخلاق في ضوء القرآن الكريم. لقد توصلت من خلال التدبر في القرآن الكريم إلى أن منبع الأخلاق عميق الغور. يمكن أن يصح تعريف الأوائل إذا كان الإنسان وحده يتحلى بتلك الأفعال التي تسمى أخلاقا، ولكن نرى أن بعض هذه الأفعال نفسها تصدر عن مخلوقات أدنى درجة من الإنسان؛ مثلا، يقولون إن الأخلاق نتيجة اجتماع العقل

والشهوة والغضب؛ والمحبة أيضا خُلق من هذه الأخلاق، ولكنه موجود في الحيوانات أيضا، فإذا كانت الأخلاق تتولد عند اجتماع العقل مع الشهوة أو مع الغضب - على حد قولهم - فكيف تتحلى الحيوانات بالمحبة التي تُعتبر خُلقًا من الأخلاق مع أنها لا تتمتع بقوة العقل؟ يدلُّ ذلك على أن العقل والشهوة والغضب ليست منبعا للأخلاق وإلا لزم عدم وجود خُلق من هذه الأخلاق في الحيوانات.

لقد تدبرتُ في هذا الموضوع، وأفهمني الله تعالى بفضله موضوعا جديدًا قلّب قضية الأخلاق رأسا على عقب. الحقيقة أن جذور الأخلاق عبارة عن قوى يتمتع بها الناس والحيوانات بل النباتات والجمادات أيضا، بل هي موجودة أيضا في تلك الذرات التي تتكون منها هذه الجمادات. فانظروا إلى الحيوان، فهو أيضا يتمتع ببعض الصفات الموجودة في الإنسان، فالإنسان يغضب والحيوان أيضا، والإنسان يحب والحيوان كذلك.

ننـــزل الآن إلى درجة أدنى منها فنأخذ النباتات مثلاً فهي الأخرى تتمتع ببعض الصفات الموجودة في الناس والحيوانات مع الفرق أن هذه الأفعال أو الصفات في النباتات تكون أدنى درجة مما هي لدى الناس والحيوانات؛ مثلا يرغب الإنسان في الأخذ والعطاء وتتمتع النباتات أيضا بهذه الرغبة. وقد ثبت من خلال البحوث

المعاصرة أن خصائص الذكر والأنثى أيضا موجودة في جميع النباتات (وإن كان القرآن الكريم قد سبق في ذكر هذا الموضوع قبل قرون)، ولا ينتج الثمر إلا عند اجتماع الذكر بالأنثى، وهذا الأمر معروف عن شجرة النخيل منذ آلاف السنين مما يدل على أن النباتات أيضا تتمتع بقوة الشهوة. علاوة على ذلك توجد فيها قوة الغضب أيضا وقد أثبت ذلك الدكتورُ "بوس" في بعض تجاربه، ولا أدل على ذلك من نبتة تدعى بالعربية "المجزاعة"، التي تنكمش فورًا إذا ما لُمستْ، وإذا لمستَ ثمرَها رمى بنواته خارجًا وانكمش فورًا. وهناك شجرة في أمريكا إذا اقتربتْ منها ذوات اللحم والدم انبسطت وسُرّت، وإذا لامستْها أطبقتْ عليها وامتصت دماءها ثم تركتْها. يثبت من هذه الأمثلة أن النباتات أيضا تتمتع بهذا الإحساس.

ننـــزل الآن إلى درجة أدنى منها لنبحث في الجمادات. يقال إن الحب خُلق عظيم. ولكن ما هو الحب؟ إنما هو جذب أحد غيره نحوه. أفليس المغناطيس يجذب الحديد نحوه؟ فلا شك أن هذا النوع من الجذب موجود في المغناطيس أيضا إلا أنه بدائي وبسيط جدًّا. ومن ناحية أخرى إذا شُحن جسمان بنفس النوع من الشحنات الكهربائية فإنهما يتنافران ويتدافعان، وكأن كل واحد منهما يُظهر

نفورًا من الآخر. فثبت أن مادة الحب أو التجاذب والنفور أو الكراهية والغضب موجودة في الجمادات أيضا.

ولقد قلت إن هذه القوى موجودة في الذرات الدقيقة أيضا، لأنه لولاها لما تكوّن هذا العالم. لو لم تجتمع الذرات وتتماسك فيما بينها بقوة الجذب لما تكوّن شيء من أشياء هذا العالم. إنها قوة الجذب التي تعمل على لحمة الذرات وتماسكها. يثبت إذًا أن مادة الأخلاق عميقة الجذور، إلا أننا كلما نزلنا إلى درجة أدنى من المخلوقات عثرنا فيها على بعض الأخلاق دون غيرها، ولكن مما لا شك فيه أن جذور الأخلاق موجودة على كل مستويات المخلوقات ودرجاتها.

وبعد أن أثبتُّ من خلال الأمثلة أن ذرات العالم أيضا تتحلى بالقوى والخصائص التي تنبثق منها الأخلاق، أبين لكم الآن نوعية الخصائص التي تُعتبَر مادة الأخلاق.

إذا فكرنا في الحالة البدائية للمادة علمنا أنه إضافة إلى جهاتها الست في الظاهر - وهي فوق وتحت، يمين وشمال، أمام وخلف - ثمة جهات ست باطنية لها أيضا، وإنها أيضا أزواج على شاكلة الجهات الظاهرة، أي كما تكون في الجهات الظاهرة جهة اليمين من ناحية معينة وجهة اليسار من ناحية أخرى، وتكون جهة الأمام من ناحية وجهة الخلف من أخرى، وجهة فوق من ناحية وجهة تحت

من أخرى، كذلك في الباطن أيضا هناك زوج مقابل كل زوج من الجهات الست وفق اعتبارات مختلفة، إحداهما ذَكَرية والأخرى أنثوية، أو إحداهما مؤثرة والأخرى متأثرة. والظاهر أن ما لا يتأثر فلا يمكن أن يؤثر فيه شيء. مثلا: يتميز العجين بالليونة لدرجة تغوص فيه قبضة اليد، ولكن الطاولة لا تدخل فيها قبضة اليد فهي لا تتأثر. ومن هنا يظهر أن إتمام أي عمل يستلزم قوة فاعلة أي مؤثرة من جهةٍ، وقوة قابلة للتأثُّر من جهة أخرى؛ وعليه فإن كل ذرة من هذا الكون تتمتع بقوة الجذب أو الانجذاب.

الجهة الباطنة الأولى هي الجذب وزوجها الميل أو الانجذاب. كل ذرة من ذرات هذا الكون إما أنها تجذب الأخرى في الظروف المواتية أو تنجذب وتميل إليها.

والجهة الباطنة الثانية هي القوة الدافعة وزوجها قوة الإعراض أي النأي أو الابتعاد.

والجهة الثالثة أو الميزة الثالثة في كل ذرة هي الإفناء. يقتضي ظهورُ كل شيء في شكل جديد القضاءَ على شكله القديم. مثلا أحرك يدي من هنا وأضعها هناك فلا يظهر الشكل الثاني إلا بعد زوال شكل اليد من المكان الأول. كذلك عندما تتأثر الذرات وتتشكل في صورة جديدة فلا بد أن يرد الفناء على شكلها الأول.

وزوج الإفناء هو ميزة الفناء، ويعني ذلك أن كل ذرة تتمتع بقوة الإفناء والفناء معًا.

الميزة الرابعة هي الإبقاء، وهي أنك إذا ألقيت شيئًا باتجاه الجدار فلا بد أن يوقفه الجدار ويصده، والميزة المقابلة لها هي البقاء.

الميزة الخامسة هي الإظهار، وهي إبراز بعض الأشياء وإراءتها. كل ذرة تُبرز الذرات المماثلة لها مما يؤدي إلى إراءة الأشياء سميكةً وبارزةً. والميزة المقابلة لها هي الظهور، أي أن كل ذرة تتميز بصفة البروز والظهور بنفسها أيضا.

الميزة السادسة هي الإخفاء وهي الستر أو حجب الشيء، مثلا إذا كان هناك شيء وراء يدي هذه فإن اليد تستره وتحجبه. والقوة المقابلة لها هي الاختفاء أي الاحتجاب واللجوء إلى ستر الآخر وظلّه.

هذه الأزواج من القوى المذكورة موجودة في أدق ذرات المادة وهي تعتبر الأساس النظري النهائي للأخلاق البشرية، وبعبارة أخرى هي ما تعتمد عليه الأخلاق كلها، وهي ما يظهر في الإنسان عند اطرادها وتطورها في صورة مذهلة ومحيّرة جدًّا لأنه كلما تكتلت المادة وتماسكت أجزاؤها أكثر تنوَّعَ السلوك الناتج عنها وصار أكثر دقة ووضوحًا. وكلما تطورت المادة تنوعتْ خواصُها وميزاتها المذكورة وظهرت في صورة أسمى وأرقى وألطف؛ وكلما تدنّى

مستوى المادة أدى ذلك إلى تحديد وتضييق نطاق ظهور هذه الميزات والخصائص. وبما أن هذه الخصائص تعمل وفق قوانين الطبيعة لذلك يمكننا أن نصف ظهورها بالحسن أو السيئ، إلا أنه لا يسعنا وصفها بصفات أخلاقية حسنة أو سيئة. وعليه فعندما نصِف شيئًا معطوبًا غيرَ مفيدٍ بالسيئ وكلَّ ما يفيدنا بالحسن فإنما نريد التعبير عن ظهور الخصائص الست المذكورة فيه بشكل كامل أو ناقص بحسب قانون القدرة الإلهية. مثلا لو سقطت هذه العصا على أحد لاستاء وتألم، ولكنه لا يقول: نجم هذا الألم عن سوء خلق العصا، كذلك إذا وجَد أحد قطعة نقود ملقاة في الطريق فقد يستحسن ذلك في نفسه إلا أنه لا يقول: أحسنَتْ إليّ قطعة النقود. وعليه فيمكننا تسمية الأفعال الصادرة وفق قانون الطبيعة بأنها جيدة أو سيئة إلا أنها لا تُعتبر أخلاقا. وليس الجيد أو السيئ سوى التعبير عن أنها تعمل بحسب رغبتنا أو خلافها لأن كون الشيء جيدًا أو سيئًا أمر نسبي أحيانًا، مثلا إذا أصيب أحد برصاصة فلا بدّ أن يصف أصدقاؤه وأحباؤه عمل الرصاصة بالسيئ والمؤسف جدًّا، أما معارضوه فيستحسنونه، فإن هذا النوع من كون الشيء جيدًا أو سيئًا أمر نسبي ولا يسمى خلقًا لأنه عملية طبيعية ومظهر من مظاهر القوانين الطبيعية، ومع أن البعض يستحسنون فعل الرصاصة ويستقبحه

آخرون إلا أنه لا يسمى خلقًا لخلوّه من الإرادة. أما إذا ظهرت المادة – من خلال تطورها وتغيرها التدريجي – في شكل إنسان فإن الخصائص الست تبدأ بالظهور فيه في مئات الصور والأنواع. وبما أن الإنسان مخلوق من عدد لا حصر له من مركّبات المادة وتغيُّراتها الدقيقة جدًّا، لذلك أضْفَتْ هذه التغييرات والتركيبات الدقيقة على الميزات والخصائص الست حُلَلا وألوانًا كثيرة. ولتوضيح ذلك أكثر نأخذ الألوان مثلاً، فهي في أصلها ستة أو سبعة ألوان أساسية، إلا أنّ امتزاجها في تراكيب معينة وانسجامها يمكن أن يُسفر عن مئات الألوان. وبما أن هذه الخصائص الست تظهر في الإنسان بصورة جديدة وبصبغة مختلفة عن ظهورها في المادة لذلك سُمي ظهورها خُلُقًا، وكأنه خَلْقٌ جديد إلا أنه سُمِّي بالخُلُق للتمييز عن خَلْق الإنسان، وإلا فإن الخصائص الست التي تعمل في المادة في صورها البسيطة والبدائية هي العامل الأساس فيها أيضا. فعندما نرى هذه الخصائص تعمل في الجمادات نسميها القوى، وإذا ظهرت في النبات بشكل أفضل نسبيا سُمّيت بالحواس، وإذا ظهرت في الحيوانات بصورة أكثر دقةً سمّيتْ بالشهوات أو الغرائز، ثم إذا ظهرت في الإنسان بشكل أكمل سمّيت بالغريزة أو التصرفات الفطرية إذا كانت مجردة عن الفكر والإرادة، وسُمّيت خُلُقًا إذا كان صدورها

مصحوبا بالإرادة والتفكير، وتكون الخصائص المذكورة قد بلغت أوجها لدى وصولها إلى هذه الدرجة لقوله تعالى في القرآن الكريم عن خَلْق الإنسان: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون ١٣-١٥) أي أن الله تعالى قد جعل الإنسان خَلقًا أعلى وأشرف من جميع مخلوقاته، وجميع المخلوقات الأخرى دونه مستوًى ودرجةً.

إذا تعمقنا في الأخلاق الإنسانية، بعد استيعابنا لهذا الأصل وجدنا أن الخصائص البسيطة الموجودة في المادة هي في الحقيقة تشكل نواة الأخلاق التي بلغت هذه الدرجة السامية بعد مرورها بمراحل التطور والارتقاء، لذلك لا يسعنا أن نعتبر هذه الخصائص سيئةً في حدّ ذاتها، لأنها الغرائز الطبيعية، فهي تصبح سيئة إذا استُخدمتْ في غير محلها. مثلا يستقبح الجميعُ الجبنَ، ولكن أليس الجبن هو انسحاب الإنسان من موقف معين؟ ولكن الانسحاب في حد ذاته لا يعتبر سيئا، بل هو تصرف طبيعي لإظهار خاصية الإعراض (المذكورة سابقا)، إنما نستقبحه إذا كان مخالفا للعقل ومنافيا لمقتضى الحال؛ فالزهد أيضا تراجع، إلا أن الجميع يستحسنونه، في حين أن الفعلين

المذكورين لا يختلفان شكلا. فالحق أن هذا الفعل أيضا ليس سيئا ولا حسنا في حدّ ذاته بل إذا صدر مرتكزا إلى العقل وبحسب الموقف فهو حسن وإلا فهو سيئ، سواء سُمّي زُهدًا أو غيره. كذلك الصبر أيضا فهو إظهار خاصية الإعراض، ولا نستحسنه إلا إذا كان يتفق مع العقل ومقتضى الحال وإلا فلا.

والآن أضرب مثالا لخاصية الميل، وهو الحب العميق أو العشق، ومثال ذلك هو الحُبّ الذي يكنه حِبٌّ لحبيبه، ومريدٌ لمرشده أو تلميذ لأستاذه، فإنه نظرًا إلى حسن مرشده أو أستاذه يميل نحوه مدفوعا من داخله بقوة الجذب. ويسمى هذا الحب خلُقا حسنا ما دام تابعا للعقل ومناسبًا للظرف، وإذا لم يكن كذلك فإنه جنون وسخافة. ولكن العامل الأوحد في كلتا الحالتين المذكورتين هو خاصية الانجذاب نحو الآخر، وهي موجودة أساسًا في المادة ثم ظهرت ههنا بمظهر آخر.

يمكن أن نضرب الشجاعة مثلا للأخلاق الناجمة عن القوة الدافعة. ما هي الشجاعة؟ إنها أحد أشكال ظهور خاصية الدفع الموجودة في المادة. وإذا استخدمت في محل مناسب اعتُبرت خلقًا حسنًا وإلا فتعتبر خلقا سيئا، وعادة السب والشتم فرع لهذه الخاصية؛ إذ إن الغرض منها أيضا ردّ همة الآخر أو هجمته أو ظلمه.

أما قوة الجذب فهي تجذب الأشياء نحوها، ومظهرها في الإنسان خصلة الحرص التي إذا ظهرت في أفعال الإنسان أخذت تجذب الأموال والمناصب. فإذا ظهرت بصورة غير مشروعة فهي سيئة وإلا فهي حسنة. ولقاء الآخرين بوجه بشوش وطلق فرع لهذه الخاصية، كما تندرج تحتها صفات المدح والمحبة والورع والحوار لنشر الحق.

ومثال الأخلاق الناجمة عن خاصية الفناء هو التهوّر، وهو إلقاء الإنسان نفسه في المهالك دون مبالاة. إذا كان هذا الدافع خاضعًا للعقل عُدّ من أسمى الدوافع كما فعل السيد نعمة الله خان حين أزمع على التضحية بحياته حفاظًا على إيمانه[١٤]. فإذا استُخدم هذا الدافع محتكمًا إلى العقل سمّي تضحية، أما بدونه فهو تهور، فلو ألقى أحد نفسه في النار المشتعلة واحترق لعُدّ تصرفه سيئًا لأنه ليس تابعا للعقل.

والمثال الثاني لهذا الدافع هو الإحسان، وهو أن يعطي أحدٌ حقه للآخر ويعرض نفسه لنوع من الفناء، إذ أنه يقدم للآخرين أشياءً كانت كفيلة بإبقائه على قيد الحياة.

---

[14] السيد "نعمة الله خان" هو أحد الشهداء الأحمديين في أفغانستان الذي فضّل الموت على تراجعه عن الإيمان بالمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام. (المترجم)

أما الأخلاق الناجمة عن ميزة الإفناء فهي على سبيل المثال القتل والتدمير والحقد والتباغض وغيرها، لأنه لوحظَ في هذه الأخلاق رغبة عارمة ودافع قويّ للإفناء.

أما مثال الأخلاق الناجمة عن ميزة الإبقاء فهو الجود والأمل والإحسان وغيرها. ذكرت صفة الإحسان كمثال للفناء أيضا والسبب في ذلك أن بعض الأخلاق تكون مركبة وتتولد باجتماع ميزتَين أو تظهر بمظاهر مختلفة في أوقات مختلفة.

أما الكبر والتسابق والشجاعة والعُجب فهي أنواع الأخلاق التي تندرج تحت ميزة الظهور، لأن في أعماق تلك الأخلاق تكمن رغبة في الظهور والبروز.

وإفشاء السر، والرياء، والخلاعة، والصدق أخلاقٌ تُعدّ من المظاهر غير المادية لصفة الإظهار.

وخُلق التوكل والغفلة والحياء تتولد من تطور قوة الخفاء.

والاستهزاء والمزاح وشهادة الزور والإسرار والكذب أخلاقٌ تُعدّ من المظاهر غير المادية لصفة الإخفاء.

إن بعض الأخلاق مركبة، مثل الحسد، فإنه مركب من الجذب والإفناء؛ والحقد مركب من ميزة الإعراض والإفناء.

تتولد بعض الأخلاق في ظروف مختلفة وتحت تأثير خصائص مختلفة، مثلا المراء أو الجدال ينشأ مرة من خاصية الإعراض ويكون الغرض منه إبطال ادعاء الآخر؛ ومرة أخرى ينشأ من خاصية الجذب وعندها يكون مقصورًا على أخذ الحق.

باختصار، يظهر من مطالعة الأخلاق الإنسانية أنها في الحقيقة صورة متطورة لخصائص المادة، وتحولت بسبب ارتقائها إلى صورة غير مادية أو تركّبت في صور أخرى. فاستنادًا إلى هذا الأصل الذي ذكرته فيما سبق أدركنا بوضوح حقيقة الأخلاق وجذورها، بل استفدنا أكثر إذ عِلمنا أن حسن الأخلاق أو قبحها ليس أمرًا ذاتيا، بل يتوقف على طريقة ومحلّ استخدامها لأن هذه الخصائص ليست حسنة ولا سيئة في حدّ ذاتها؛ بل وهذا التحليل يثبت وجودَ خالقٍ لهذا الكون أيضا، لأن هذه الجذور العميقة للأخلاق لا يمكن أن تتولد تلقائيا، ولا يمكن مراعاة هذا الأمر بدون فعل القادر والمدبر والمتسم بالإرادة منذ البدء من أجل أن يترسخ جذر الأخلاق العميق في قلب الإنسان رسوخًا لا يسعه التخلي عنه. فالذات الإلهية هي التي قد مزجت الأخلاق في فطرة الإنسان ليقبل تأثيرها في جميع مراحل عمره وظروف حياته، وليميل فطريا نحو الأخلاق.

لماذا يجب علينا التحلي بالأخلاق الفاضلة؟

بعد ذكر حقيقة الأخلاق أريد أن أجيب على هذا التساؤل: لماذا يجب التحلي بالأخلاق الفاضلة؟ ولماذا يجب التخلي عن الأخلاق السيئة؟

لما كان أهل أوروبا يركزون كثيرا على فلسفة الأشياء فقد أوْلَوا هذا السؤال أهمية كبيرة، وبعد تفكير عميق أجاب بعض المحققين منهم قائلين: بما أن الأخلاق الفاضلة جيدة في جوهرها لذلك يجب قبولها لمجرد أنها أخلاق حسنة وليس لأي غرض سواه.

أما علماء الأخلاق المسلمون فقد أجابوا عن هذا السؤال أنه يجب على الإنسان أن يلتزم بالأخلاق بنية الثواب، حتى قال الإمام الغزالي: ليس بتقي من يجتنب الزِّنا لأنه يؤدي إلى إفساد صحته.

ويثير عشاق الفكر الغربي حوله اعتراضين اثنين:

١) أوليس بتاجرٍ من يعالج المريض بنية الثواب وليس بهدف مساعدته ليستعيد صحته؟ ثم لماذا يُعتبر طيّبًا ومحترمًا مَن يمارس هذه الأعمال كمهنة تجارية؟

٢) لو تجنب أحد الزِّنا حرصًا على منصبه وصحته فلماذا لا يُعتبَر عفيفًا؟ وإذا كان تجنبه بهذا الشكل لا يكسبه العفة فلماذا منعته

الشريعة من الزِّنا؟ تقولون: إن تجنب الزِّنا بهذا الشكل ليس يُضمرُ نية الثواب فلا يُعتبر خلُقًا. ولكننا نتساءل: لماذا يثيب الله تعالى على عمل ما إذًا؟ ألا يثيب الإنسان إذا انتهى عمّا نهى عنه وقام بما أمره به؟ والسؤال المطروح الآن: لماذا يأمر الله تعالى بشيء ولماذا ينهى عن شيء آخر؟ إذا فعل ذلك بدون أية حكمة فلا معنى لشريعته ولا طائل منها، ولكن إذا كان لذلك سبب معين وحكمة فلماذا لا تُعدّ من الأخلاق الفاضلة مراعاة هذه الحكمة عند العمل بتلك الأوامر والنواهي؟ ولماذا يُنظر إلى عمل أحد باستخفاف إذا كان عند قيامه به يراعي الحكمة نفسها التي أمر الله تعالى بالقيام بهذا العمل لأجلها؟ أي إذا كان الله تعالى قد منعنا من الزِّنا من أجل الحفاظ على الصحة وأمن المجتمع وتجنبناه لهذا الغرض نفسه فلماذا لا نُثاب عليه ولماذا لا يُعتبر هذا الخُلق حسنًا؟ وإن لم تكن ثمة فائدة من تجنب الزِّنا فهذا يعني أن الله تعالى قد منعنا من ارتكابه بلا حكمة ودون أي سبب!

أما الرد على الاعتراض الأول المتعلق بالتجارة فلا وجه للمقارنة بين هذا الفعل والتجارة، لأن الله تعالى بنفسه قرر جزاء الأخلاق الحسنة بحيث صرح أن مَن عمل أعمالا معينة فجزاؤه كذا ومَن تجنب أفعالا معينة فجزاؤه كذا. فهو ليس بالتجارة بل هو إنعام من الله تعالى؛ لأن الإنسان في التجارة يحدد بنفسه قيمة عمله، أما في

الأخلاق فقد حُدّد الجزاء حتى قبل ولادته، وهو جزاء طبيعي نتلقاه سواء أكانت هناك نية لإرضاء الله تعالى أم لا، على أية حال إنه ليس بتجارة. أما التجارة فهي كأن يكون لدى أحدٍ سمنٌ ولدى الآخر نقود، فيشتري الآخر السمنَ لقاء النقود، ولكن البائع حرٌّ في بيع أغراضه أو عدمه. أما هنا فالأمر مختلف تمامًا؛ إذ أن صاحب العمل قد وعد بالإنعام مسبقًا دون أن يطلبه العامل. وهناك فرق آخر وهو أننا محتاجون لمن يعِد بهذا الإنعام في جميع الأحوال، ولا نحظى بهذا العيش إلا منةً منه، سواء قُمنا بهذه الأعمال بنية الثواب أم لم نقم بها. فلا يجوز بحال من الأحوال أن تطلق كلمة التجارة على إنعام الذات الإلهية التي لا نستطيع أن نحظى بالحياة دون منّتها. أما التجارة فقد تكون مع من لا نحتاجه سواء أبَقينا على علاقة معه أم لا.

أما ما ورد في الاعتراض الثاني فهو صحيح بشرط الإضافة التالية: العملُ المجرّد من نية الثواب لا يُعتبَر أخلاقًا.

والرد الأساسي على هذه الاعتراضات هو أنكم لا تفهمون حقيقة الثواب. يمكن أن يكون اعتراضكم في محله إذا كان الثواب نقودًا ومالاً. ولكنه ليس كذلك بل يتمثل في تحقق ذلك الهدف السامي الذي خُلِقنا لأجله أي أن نتحلى بالصفات الكاملة، وأن

تتولد فينا تلك القوة التي تجعل الطهارة جوهر ذاتنا حتى نصبح منبعا للطهارة. أما ما يذكر من الإنعامات المادية فإنها إما استعارات أو مستلزمات للهدف الحقيقي وليست الهدف الحقيقي نفسه. على سبيل المثال، إذا خدم أحد صديقه فليست الخدمة الهدف الحقيقي، بل هي من مستلزماته، والهدف الحقيقي هو الميل القلبي نحوه والعلاقة الحميمة معه. كذلك ليس المراد من الثواب الأكل والشرب، بل هو الحصول على الكمال الذاتي، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٧).. أي أن الغرض من خلق الإنسان أن يصبح عبدًا لله تعالى. فمعنى الثواب أن يوفق الإنسان ليكون عبدًا له عزّ وجلّ وينال كمالا روحانيًا. فإن التحلي بالأخلاق بهدف تحقيق هذا الغرض تجعلها أخلاقا في الحقيقة أما بدونه فهي تمارين ظاهريَّة ليست إلا. لا شك أن من يتحلّى بالأخلاق دون توخي الغرض المذكور أيضا يستفيد بها إلى حد ما في هذه الدنيا، ولكن لا يسعه إحراز أي نوع من الكمال الروحاني ما لم يهدف بها إلى نيل رضا الله تعالى. تنبني الأفعال الباطنية والذهنية على النية، بل نرى أن الأفعال الظاهريَّة الحسية أيضا ترتبط بالنيات، وعليه فلو أخذنا قوة الجسم الأساسية بعين الاعتبار عند ممارسة

الرياضة لأدى ذلك إلى نتائج مُرضية عظيمة، أما بدونه فلا تعود إلا بنتائج متدنية جدًّا.

والردّ الثاني هو: هدفنا من الالتزام بالأخلاق هو الفوز برضا الله تعالى وهو لا يعني أن يهبنا الله تعالى شيئًا في المستقبل، بل هو تعبير عن شكرنا له على ما أعطانا وأداء واجبنا من الناحية الأخلاقية.

بالإضافة إلى ذلك أقول: لم يدرك المعترض حقيقة نفسه أيضا. إذا كان السعي لنيل الجوائز يعدّ أنانية فإنها موجودة لديه أيضا؛ نسأله لماذا يعالج أحدٌ المريضَ؟ لو قال: بسبب رحمته القلبية لما كانت له ميزة شخصية تذكر لأنه بهذه الحالة يعالجه مدفوعا من قلبه أي هو مضطر لمعالجته ولا يعتبر ذلك ميزة له. أما لو كان يفكر أنه لو قام اليوم بعلاجه فلعله يجد غدًا من يقدم له خدمة المعالجة فهذا أيضا ينطوي على الرغبة في الجزاء. أما نحن فلا نتطلع إلى الجزاء على أعمالنا في المستقبل بصورة مال أو نقود بل ننوي أن نشكر الله تعالى على جزائه السابق الذي أنعم به علينا إلى الآن.

من هو الإنسان الخلوق؟

والآن أبين لكم مَن هو الإنسان الخلوق. مَن يتحلى بجميع الميزات ويتنــــزه عن جميع العيوب فهو الخلوق عند المسيحيين، وإلى

نفس هذا المذهب تقريبا ذهبت الأديان الأخرى أيضا، ولكن الإسلام يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (القارعة ٧-١٠) أي من كثرت حسناته فهو حَسَن الخُلق ومن كثرت سيئاته فهو سيئ الخلق. تقول الديانات الأخرى: لو عمل أحد بالحسنات طوال عمره ثم حدث أن ارتكب سيئةً صار سيئ الخلق. ولكن الإسلام يقول من يسعى للتحلي بالحسنات ثم لو بقيت فيه بعض السيئات فإن حسناته ستغطيها وتسترها ويُعدُّ صاحبها حَسَنَ الخلق.

والحقيقة أن الديانات الأخرى ترى أن أحكام الشريعة اعتباطية لا حكمة فيها لذلك فمن نكث حكمًا من أحكامها فلا بد أن يتعرض للعقوبة، وكأن أحكام الشريعة قوانين عقوبات فحسب. ولكن الإسلام يقول إن الأخلاق وأحكام الشريعة ليست مقصودة لذاتها بل هي ممارسات تدريبية هادفة إلى خلق الطهارة القلبية والتزكية في الإنسان؛ لذلك لو أخطأ أحد في ممارسة أحد هذه التمرينات فلا ينال عقوبة ما دام خطؤه لا يؤدي إلى الإضرار البالغ بالهدف الأساسي من ذلك التمرين أو يقضي عليه. مثلا: إذا أجاب الطالب عن تسعة أسئلة إجابة صحيحة وأخطأ في واحد فلا يتلقى عقوبة. تصدر الأخطاء عن الأطباء أيضا ولكنهم مع ذلك يُعتبرون أطباء

بشرط أن يظل معظم المرضى يستعيدون صحتهم بمعالجتهم. فمن كان حسَن الخُلق لا بد أن يُعدَّ خلوقا ولو بقيت فيه بعض العيوب. ولكن لا يسوّغ لأحد القول: أتجنب جميع السيئات إلا السرقة إذ لن يؤثر هذا العيب الوحيد فيّ شيئا، لأن ذلك عصيان، والعصيان جريمة لا تُغتفر، ولكن الخطأ هو ما يُغتفر. فلو قال أحد الطلبة إنه لن يجيب عن سؤال واحد فلعله يُفصل من المدرسة لأنه أساء إلى الممتحِن، أما إذا لم يستطع الإجابة فلن يُعاقَب عليه.

هل يمكن إصلاح الأخلاق؟

والسؤال المطروح الآن: هل يمكن إصلاح الأخلاق؟ يقول بعض الناس نعم يمكن ذلك، أما إذا كان الأمر يتعلق بإصلاح أخلاقهم هم فيقولون: ليس إلى ذلك من سبيل. حتى إذا طرحتم السؤال نفسه على الناس الموجودين في هذا الاجتماع فسيقول الجميع: نعم، لم لا؟ وإذا قلت لأحدهم: هل أصلحت أخلاقك؟ فسيقول: بذلت قصارى جهدي ولكن دون جدوى. يبدي الناس عموما آراء ذامّة تجاه الآخرين ومادحة عن أنفسهم أما في هذا الخصوص فالأمر معاكس إذ يبدون رأيا جميلا عن الآخرين وسيئًا عن أنفسهم. ولكن القرآن الكريم يقول: نعم يمكن إصلاح الأخلاق لقوله تعالى:

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (الأعلى ١٠).. "إِنْ" هنا بمعنى "قد" أي يا محمد ﷺ، وجِّه النصيحة إلى هؤلاء الناس لأن النصيحة والتذكير يفيدان دوما. تدل هذه الآية القرآنية على إمكانية إصلاح الأخلاق في جميع الأحوال.

ونصيحة المسيح الموعود عليه السلام للجماعة بهذا الخصوص معجزة بحد ذاتها، بل هي معجزة كبيرة تكفي وحدها أن تكون آية عظيمة على صدقه. ولم يذكر أحد هذه الحقيقة إلا القرآن الكريم وهو منبع علم المسيح الموعود عليه السلام، ولقد ذكرها بكلمات تملأ قلب الإنسان بالأمل، يقول المسيح الموعود عليه السلام مخاطبًا جماعته:

"لا تظنوا لأنكم مذنبون فلن يستجاب دعاؤكم. اعلموا أن الإنسان يخطئ ثم بالدعاء يتغلب على نفسه ويخضعها، لأن الله تعالى قد أودع فطرة الإنسان قوة ليتغلب بها على نفسه. انظروا إلى الماء فقد أودع فيه خاصية إخماد النار، فمهما سخّنتم الماء حتى ولو جعلتموه حارًّا كالنار مع ذلك لو ألقي على النار لأخمدها؛ فكما أن الإخماد من خصائص الماء كذلك الطهارة من فطرة الإنسان. لقد وضع الله تعالى مادة الطهارة في كل إنسان. فلا تقلقوا من أنكم واقعون في الذنوب. إنما الذنب كالوسخ على الثوب ويمكن أن يُزال. فلو دعوتم الله تعالى متضرعين فلن يضيعكم مهما كانت

طبائعكم خاضعة لجذبات النفس، لأن الله تعالى حليم وهو الغفور الرحيم". [١٥]

إنها رسالة أمل كبير، وهي مذكورة في القرآن الكريم مجملا ولكن لم يذكرها أي كتاب آخر بهذه الصورة كما ذكرها المسيح الموعود عليه السلام مستوحيًا إياها من القرآن الكريم، وإذا أمعنا النظر في شرحه عليه السلام لاعترفنا أنه عليه السلام قد أجاد وأوفى.

يتضح من العبارة السابقة أن الإنسان مخلوق من مادة لو أحسن استخدامها خلصته من جميع الذنوب وأدت إلى إصلاحه.

إلامَ تميل الفطرة الإنسانية.. إلى الحسنة أم إلى السيئة؟

هنا ينشأ السؤال: هل تميل الفطرة الإنسانية إلى الحسنة؟ والجواب: إنها لا تميل إلى الحسنة ولا إلى السيئة، لأن الله تعالى قد خلق الإنسان ووهبه قوى وقدرات عالية جدًّا ومكّنه من استخدام هذه القوى في الحسن والسيئ على حد سواء ثم أراه الصراط المستقيم وبعد ذلك تركه ليتصرف كما يشاء، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٤).. أي أننا

---

[15] خطاب الجلسة السنوية، جريدة "بدر" بتاريخ ١٧ يناير ١٩٠٧ ص ١٥-١٦. (الناشر)

أودعنا الإنسان جميع أنواع القوى والقدرات التي يستطيع باستخدامها أن يكون شاكرًا لله تعالى أو كافرًا به.

لماذا تكثر السيئة في العالم؟

هنا ينشأ السؤال: إذا كان بوسع الإنسان كبحُ جماح ارتكاب السيئة فلماذا تكثر السيئة في العالم إذن ولماذا تقل الحسنة فيه؟

لقد أجبتُ على هذا التساؤل في أحد خطاباتي السابقة وأتطرق إليه الآن أيضا لأنني تلقيت في الفترة الأخيرة هذا السؤال نفسه من أربعة أو خمسة من الإخوة من أماكن مختلفة، ولا أعرف كيف نشأ عندهم هذا التساؤل في وقت واحد.

الحق أن أعمال الخير في العالم تزيد عن أعمال الشر. خذوا مثلا: إذا كان أحد يعتاد السرقة وإلى جانب ذلك يقوم بأعمال الخير بحيث يكون خلوقًا وجوادًا، وبرًّا بوالديه، فهل تكثر عنده أعمال الشر أم الخير؟ فلو أخذتم في الاعتبار هذه المقارنة بين الأخلاق لعلمتم أن أعمال الشر أقل بكثير من أعمال الخير، وستلاحظون أن معظم الناس يتحلون بأخلاق حسنة أكثر من السيئة.

تنشأ هذه الشبهة لسببين اثنين؛ أحدهما: لأن الناس يرون أن عدد الكفار في العالم أكثر من المؤمنين. ثانيهما: لأنهم يلاحظون عيوبا في

معظم الناس. ولا يمثّل هذان الأمران دليلا على قولهم بل يفوق الخيرُ الشرَّ في العالم رغم هذين الأمرين. لو تناولنا الأمر الأول.. وهو أن عدد الكفار في العالم أكثر من المؤمنين.. للاحظنا أنه توهُّم ناجم عن قلة التدبر في الحقيقة. ليس صحيحًا أن الكفار يمثلون الأكثرية في العالم، بل يكثر عدد الذين أطلقت عليهم تسمية الكفار، لأنكم إذا حققتم في الأمر لوجدتم كثيرًا من الناس لم تقم عليهم الحجة من الناحية الباطنية، فإن هؤلاء يسمّون كفارًا بناء على ظاهر الشريعة إلا أنه ليست فيهم حقيقة الكفر عند الله تعالى، فإما أن يعطيهم الله تعالى فرصة أخرى للتمييز بين الكفر والإيمان أو يحاسبهم بناء على أعمالهم الفطرية من شرك أو توحيد. فإذا راعينا هذه الحقيقة تأكدنا أن الإيمان أكثر من الكفر وبالتالي فإن أعمال الخير والحسنة أكثر من الشر والسيئة.

والسبب الثاني - وهو مشاهدتهم عيوبا كثيرة في الناس — باطل أيضا، لأن القضية لا تتعلق بوجود معايب أو أخطاء في الناس، بل القضية هي: هل يبدو الشر في الناس أكثر من الخير؟! فلو ثبتت كثرة أعمال الخير في الناس ثبتت كثرة الخير في العالم كله. وإن النظرة الشاملة على أعمال الناس تثبت أن أعمال الخير فيهم أكثر، مما يدل على أن أعمال الخير في العالم أيضا أكثر من أعمال الشر.

يثير بعض الناس في مثل هذه المواقف تساؤلا مفادُه: إذا كان معظم الناس يتلقون عقابًا من الله تعالى فمعناه أن الشيطان كان منتصرًا في نهاية المطاف. أقول: لا، بل انتصر الله تعالى وحده، وذلك لأن الله تعالى قد قرر أن الجميع سيدخلون الجنة بعد قضاء فترة عقابهم. يقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(الذاريات ٥٧).. أي لقد خلقت الناس ليصبحوا عبادًا لي، فكيف يمكن إذًا أن يبقى عباد الله في العقاب الدائم؟ بل يتضح من هنا أن الجميع يُخرَجون من الجحيم في وقت من الأوقات، كما يتضح من الآيات والأحاديث الأخرى أن الجميع يدخلون الجنة في يوم من الأيام، وهكذا فيصير الجميع عبادًا لله تعالى، فيكون الله ﷻ قد انتصر. ثم إن الشيطان أيضا في نهاية المطاف لن يبقى خارج الجنة بل هو الآخر سيدخلها. وهكذا فسيتلقى هزيمة نكراء على مستوى نفسه أيضا. فمن قال الآن إن الشيطان قد انتصر سيندم على قوله عند رؤيته في الجنة وسيقول كنت أعتبره منتصرًا إلا أنه هُزم فخضع لله فوصل إلى هنا.

والآن أعرِّف مرة أخرى الإنسان الفاضل، فهو ذلك الإنسان الذي يجتنب ارتكاب الإثم حتى تنجو روحه من الهلاك الأخروي،

والمراد من الهلاك الأخروي سخط الله تعالى؛ ومن يعمل خيرًا يحظى بقوة فورية للتقدم السريع نحو نيل رضا الله تعالى، وإلا فإن هذه القوة ستتولد في الجميع في نهاية المطاف.

ما هو الإثم؟

وأذكر الآن ما هو الإثم.. إنما الإثم عملٌ يُسقم روح الإنسان فلا تصلح لرؤية الله تعالى، وتواجهها صعاب كثيرة في تحقيق الهدف الذي خلقت لأجله. بعض هذه الأعمال الضارة مادية وأخرى روحانية. أما المادية منها فأضرار معظمها أظهرُ من الشمس مثل الكذب والقتل وغيرهما.

ما هي الأعمال الصالحة؟

هي تلك الأعمال التي تتقوى بها الروح الإنسانية لدرجة تتأهل لرؤية الله تعالى. من المعتاد أن يجد الأطباء مرضًا عند الجميع ولكن الإنسان السليم حقًّا هو من يقدر على إنجاز أعماله. فالعمل الصالح هو ما يجعل الإنسان صالحًا لرؤية الله تعالى. وهو عبارة عن أفعال مادية وروحانية.

أنواع الإثم أو الخطيئة

لا بد من معرفة أنواع الإثم لفهم الموضوع الأساس الذي نحن بصدده. واعلموا أنها ثلاثة؛ ١) إثم القلب، وهو الإثم الحقيقي. ٢) إثم اللسان. ٣) إثم الجوارح كاليد والقدم والأعضاء الأخرى.

ما هي أنواع الصالحات؟

الأعمال الصالحة أيضا تنقسم إلى ثلاثة أنواع؛ **١**) صلاح القلب، وهو الصلاح الحقيقي. **٢**) صلاح اللسان. **٣**) صلاح الجوارح.

من أين يتولد الإثم بوجود هذه القوى الكثيرة للأعمال الصالحة؟

بعد قراءة ما سبق يمكن أن ينشأ تساؤل مفاده: إذا كان الله تعالى قد أودع الإنسان هذه القوى الكثيرة لرقيه فمن أين يتولد لديه الإثم؟ والرد عليه كما يلي: ينشأ الإثم من الأمور الآتية: من الجهل أو عدم العلم، أي يتغافل الإنسان أحيانا عن استخدام الفكر والعقل لدى إشباعه غرائزه الطبيعية من أجل تحقيق الفرحة والسرور لنفسه، فيؤثر سروره المؤقت هذا على الفرحة الدائمة، ويلهيه عن راحته الدائمة، وإليكم موجباته:

الأول: الجهل الدائم أو المؤقت كلاهما. الجهل الدائم واضح، أما المؤقت فهو أن يتصرف الإنسان كالجاهل في وقت من الأوقات رغم علمه، وها هي أسبابه: ١) الطمع أيضا يولّد الجهل. ٢) الغضب. ٣) شدة الحاجة والعوز. ٤) الاعتلال. ٥) الجزع. ٦) الوله أيضا يولّد الجهل. ٧) الآمال العريضة. ٨) شدة اليأس والقنوط. ٩) التعنت. ١٠) الرغبة العارمة. ١١) قلة الرغبة. ١٢) الوراثة، وهذا يعني أن بعض الأفكار تنتقل بالوراثة أحيانا وتسيطر على جميع الأفكار الأخرى. هذه هي الذرائع الاثنتا عشرة التي يتولد منها الجهل.

الثاني: الأمر الثاني الذي يتولد منه الإثم هو أثر الصحبة. إن الإنسان مفطور على التقليد بحيث يقلد ما يراه حادثا حوله دون أن يفكر في نتيجة التصرف الذي يقلده. وأكثر ما يتأثر به الإنسان صحبةُ والديه وأقاربه ورفقائه الذين يعيش ويلعب معهم، كما يتأثر بصحبة أساتذته أيضا، ويندرج تحت هذه القائمة التقاليد الشعبية التي يتأثر بها الإنسان تأثرًا عميقًا.

الثالث: يتولد الإثم من العلم المغلوط أيضا، وهو أن يعدَّ الإنسانُ أمورًا من صميم العلم الصحيح وهي ليست كذلك، وهكذا يتبع أصولا خاطئة.

الرابع: يتولد الإثم من العادة أيضا؛ لأن من اعتاد ارتكاب سيئة ما لا يستطيع تجنُّبَها في بعض الأحيان مع عِلمه بأنها سيئة. فمثلا: يدرك أحدهم أن شرب الخمر عمل سيئ فيعقد العزمَ على تجنبها، ثم يخرج فيتوجه - في يوم تلبدت فيه السماء بالغيوم - إلى بعض أصحابه الذين يشربون الخمر فينادونه ليشترك معهم فيفقد السيطرة على نفسه ولا يستطيع الثبات على عزمه الذي عقده في نفسه.

الخامس: يتولد الإثم من الكسل والغفلة أيضا، وهو أن الإنسان يعلم أحيانا حقيقةَ عملٍ سيئ ولا يعتاد فعله، مع ذلك لا يتشجع للقيام باللازم تجاهه، إنما يقول في نفسه سوف أقوم به لاحقا، وهكذا يمرّ الوقت فيقع في المعصية بعد فوات الأوان. وقع في زمن النبي ﷺ مثل هذا الحادث حيث ظل أحد الصحابة المخلصين جالسًا في بيته ظنًّا منه أنه سيخرج للمشاركة في الحرب لاحقًا، ويستطيع اللحاق بجيش المسلمين متى شاء، وكانت النتيجة أنه لم يستطع ذلك.[16] باختصار، التكاسل أيضا سبب من أسباب وقوع الإنسان في الإثم أحيانًا، ويفتقر مثل هذا الإنسان المتكاسل إلى قوة تدفعه نحو النهوض للعمل.

---

[16] انظر البخاري كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك. (الناشر)

السادس: يتولد الإثم من عدم القدرة على التفريق بين الأمور، أي عدم القدرة على التمييز بين الحسن والقبيح. أو عدم القدرة على استخدام عاطفة ما في محلها المناسب وبقدرها المناسب، مثلا، إن الحب عاطفة جميلة، ولكن لو أحب أحد زوجته أكثر من أمه فإن ذلك يدل على النقص في قوته لاتخاذ القرار المناسب، لأن لأمه عليه منة عظيمة إذ كانت سببا لانتقاله من العدم إلى الوجود، أما الزوجة فيرتبط بها بعلاقة التعاون كما أنها تشبع بعض رغباته. ومثله كمثل الذين يقولون في هذه الأيام: نؤمن بأن مرزا غلام أحمد صادق ولكن لا نستطيع أن نبايعه إذ قمنا ببيعة المرشد الفلاني مسبقًا، وهذا يدل على نقص في قوتهم لاتخاذ القرار المناسب.

السابع: ويتولد الإثم من الانجرار وراء التيار الخفي لبعض الأفكار السائدة. لم أتطرق إلى تفاصيل الأسباب السابقة أما هذا السبب فلا بد أن أُفصّل فيه قليلا لتعقلوه وتستوعبوه.

إذا ساد في العالم تيار فكري معين فلا بد أن يتأثر به الناس حتى لو لم يكن هناك دافع لقبوله أو دليل للاقتناع به. فلو أجلسنا رجلا صالحًا بين عشرة من الأشرار، فلا بد أن يتأثر قلب هذا الصالح بسيئتهم ولو استبطنوها ولم يُظهروها أمامه. بعث أحد الشباب السيخ رسالة إلى المسيح الموعود عليه السلام -لأنه كان يخلص لحضرته

الـسَّلام- عن طريق الخليفة الأول رضي الله عنه قال فيها: تراودني أفكار إلحادية منذ أيام قليلة. فلما قرأ الخليفة الأول هذا الأمر على المسيح الموعود عليه السلام قال: قل له أن يغير مكان جلوسه في الكلية. وعُلِم بعد ذلك أنه منذ تغييره مكان جلوسه أخذت أفكاره تصفو وتعود إلى طبيعتها. والسبب في ذلك أن جليسه في الصف كان يُبطن أفكارًا إلحادية دون أن يظهرها علنًا، ومع ذلك فإن الطالب السيخي تأثر بها بسبب قربه منه.

فلا يمكن لأحد أن ينكر تأثير مثل هذا التيار الفكري، لأنه ثابت من في القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم أيضا. ومثاله في الحيوانات أوضح ما يكون، فعلى سبيل المثال يحدث كثيرا أن تبدأ قطّتان شجارًا ولكن بعد مواء غضب قصير تدسّ إحداهما ذنَبها بين رجلَيها وتهرب دون أية مواجهةٍ.

كذلك جرّبوا جمع أربعة أو خمسة أسود في مكان واحد فلا يبقى فيه إلا الأقوى منها، أما الأخرى فتتسلل خافضة أذنابها، ولو ألقي بينها لحم وهي في الوضع المذكور فسيأكله الأقوى منها، أما الأخرى فستظل واقفة على بعد دونما حراك.

كنت قد أجريت اختبارًا لقوة التنويم المغناطيسي - وهو التأثير من خلال الأفكار- لأردّ على الاعتراضات التي يوجهها هذا العلم

إلى الروحانية. قالت لي جدتي لأمي: إنها قصص وهمية ولا حقيقة لها، وأشارت إلى عصفور على بعد مترين تقريبا قائلة: لو أمسكت بهذا العصفور آمنّا بحقيقة هذا العلم. فجعلت أحدق في عيني ذلك العصفور وأثرت فيه ثم اقتربتُ منه جدًّا فلما هممت لأمسك به وقعتْ يدي بيني وبين عينيه وأدت إلى قطع تيار هذا التأثير فطار هربًا من يدي.

يقول أحد السياح: رأيت في الغابة سنجابًا يجري بسرعة هائلة دون أن يغادر ذلك المكان. فلما اقتربت رأيت حية ترفع رأسها وتحدق فيه، وفي نهاية المطاف اقترب السنجاب من الحية التي كادت أن تلتهمه فضربتها بسوطي فلاذت بالفرار. وكان تأثير الحية هذا قويًا بحيث لم يستطع السنجاب الهرب من هناك بل أدى ذلك إلى اقترابه منها في النهاية.

وروى سائح آخر: رأيت في إحدى الغابات الإفريقية طيرًا ينفض بجناحيه، فلما اقتربت منه رأيت حية تحدق النظر فيه فقتلتُها، ثم رأيت أن الطير أيضا مات خوفا.

وقد أجري الاختبار في إنجلترا بطريق آخر حيث جيء بحشرتين من جنس واحد وُضِعت إحداهما على مسافة خمسة أميال من

الأخرى ومع ذلك وصلت الأخرى إلى الأولى، لا شك أن ذلك كان نتيجة لتيار الأفكار.

صنع دكتور في أمريكا بيتًا للنمل ووضعه في مكان مغلق من جميع الأطراف، فلوحظ بعض النمل على الجدار الخارجي للمكان المغلق الذي كان فيه بيت النمل فلما فتح المكان المغلق أدرك أن النمل على الجدار الخارجي كان على مكان يحاذي بيت النمل تماما، فلما غيّر مكان بيت النمل غيّر النمل في الخارج أيضا مكانه بحسبه رغم الجدار الحائل بينها.

فقد تبين مما سبق أن تيار الأفكار قوة عظيمة. وثبت عن طريق النبي ﷺ أيضا أنه كلما جلس في مجلس استغفر الله تعالى سبعين مرة[17]. هذا لا يعني أنه كان يخشى أن يتلوث ببعض الأرجاس، بل كان يستغفر الله تعالى حتى يبقى بعيدًا عن هذه الأدناس والأرجاس. وهناك بعض الناس الذين ليسوا بفاسدين إلا أن لديهم استعدادًا كبيرًا لقبول تأثير الآخرين، وكان النبي ﷺ يستغفر لأمثالهم أيضا حتى لا يتأثروا بأفكار مفسدة ببال غيرهم.

[17] سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب الاستغفار. (الناشر)

حالات التدنس بالإثم

لا بد من معرفة حالات التلوث بالإثم من أجل مكافحته، لذلك سأتناول ذكرها فيما يلي:

الحالة الأولى: ينظر المرء إلى الإثم بنظرة الكراهية والنفور إلا أنه يرتكبه أحيانا.

الحالة الثانية: مع اعتباره الإثم شيئا سيئًا لا يستطيع مقاومة الأطماع والمغريات فيقع فيه.

الحالة الثالثة: لا يعتبر الإثم سيئًا ولا يرغب في ارتكابه أيضا، أي أنه لا يَكره الإثم ولا يحجم عن ارتكابه إذا وجد فرصة لذلك.

الحالة الرابعة: يرغب في ارتكاب الإثم إلا أن مادة الحياء فيه تمنعه عن ارتكابه جهرًا فيرتكبه خفية. وإذا امتنع عن ارتكابه فإنما يمتنع بسبب التقاليد الاجتماعية والأعراف.

الحالة الخامسة: يخرق حاجز التقاليد والأعراف الاجتماعية ويتجرأ على ارتكاب الإثم راغبا فيه.

الحالة السادسة: يحثّ الآخرين على ارتكاب الإثم ويستحسنه.

الحالة السابعة: يصبح الإنسان مظهرًا للشيطان لدرجة يصبح نشر السيئة شغله الشاغل.

وهناك حالات العمل بالخير وكسب الحسنات أيضا مقابل أحوال التلوث بالإثم.

الأول: أن يعمل خيرًا بنية الثواب من الله.

الثاني: أن يعمله خضوعًا لأمر الله تعالى وأداء للفرض الواجب عليه.

الثالث: أن يعمل خيرًا من أجل الخير والفضيلة.

الرابع: أن يعمل خيرًا بسبب عادته الطبيعية.

الخامس: أن يجد متعة في أعمال الخير.

السادس: أن يسعى لنشر الخير في العالم كله.

السابع: أن يصبح خيرًا مجسّدًا، وأن يصير هدفه الوحيد هو نشر الخير والفضيلة في العالم كله، أي أن يكون مثيلا للملائكة.

وهناك درجات أخرى أعلى منها أيضا ولكنها لا تُكتسب بل هي موهبة من الله تعالى أي أنها مدارج النبوة.

لقد سبق أن ذكرت الفرق بين الأخلاق والروحانية فالأخلاق هي أعمال الإنسان وصفاته التي تتعلق ببني جنسه، أما ما يتعلق من أعماله وصفاته بالله تعالى فهي الروحانية، لذلك فعلاجهما الأساسي واحد فلن أضطر لذكر علاج أمراض الأخلاق والروحانية بشكل

منفصل، كما لا يسعني هنا ذكر العلاج الذي ذكرته الأديان الأخرى أو المتصوفون. لذلك بعد التفاصيل التي أوردتها أتطرق الآن إلى ذكر التعليم الإسلامي المتعلق بمعالجة الإثم وفق فهمي.

قبل التعرض لعلاج الإثم المرتكَب، أقول قد أثار الإسلام بحثًا شاملا عن الاحتياطات اللازمة المانعة من اقتراف الإثم. والحقيقة أن هذا البحث يتضمن مفتاحًا لإزالة الإثم وعلاجه. فبدلا من أن نفكر في غسل الثوب بعد اتساخه، أفليس من الأفضل أن نتخذ الإجراءات اللازمة كي لا يتسخ الثوب أصلا؟ لا شك أنه أفضل وأحوط ويقع على جانب كبير من الأهمية، إذ نرى أن الإسلام، خلافا للأديان الأخرى، لم ينبه إلى طرق التخلص من الإثم فحسب، بل أوصى باتخاذ بعض الإجراءات الكفيلة بعدم صدور الإثم أصلا. رغم تنبيه القرآن الكريم المسلمين إلى هذا الأمر وتركيز بعض الصلحاء المسلمين على هذه النقطة، إلا أن المسلمين كأمة لم يهتموا اهتمامًا كافيا بهذا الأمر بل تجاهلوه، وهو أن السيئة تنشأ قبل بلوغ الإنسان الحلم. فعند قول الناس إن فلانا يرتكب آثاما تكون بذرة الإثم الكامنة فيه قد تحولت إلى شجرة وغدت تبرز للعيان، وإلا فلا يمكن أن تنشأ شجرة بدون أن تكون هناك بذرة لها. فإن لم تكن لديه القابلية على ارتكاب الإثم مسبقا فمن أين جاءته بعد بلوغه

الحلم؟ الحقيقة أن الذنب أو القابلية على ارتكاب الإثم ينشأ منذ الطفولة، والسيئة تتجذر في قلب الإنسان قبل بلوغه الحلم، بل إن بعض السيئات تبدأ بالنشوء في الطفل وحتى قبل ولادته. فعندما يبلغ أحد الحلم يقول العلماء: أنقذوه من السيئات، والحقيقة أنه إلى ذلك الحين يكون قد وقع تحت سيطرة الشيطان وقوعًا تامًّا. لا يعني قولي هذا أنه قد نشأت فيه جميع أنواع السيئات والموبقات بل المراد منه أنه قد نشأت فيه القابلية على ارتكاب الإثم والميل نحو ارتكابه.

سبق أن ذكرت أن الأخلاق تنشأ من بعض خواص المادة، فلو فسدت هذه الميول في الطفولة فإن الطفل البريء في الظاهر يكون معدًّا لجميع أسباب ارتكاب الإثم.

تدبروا الآن، من أين تنشأ السيئة؟ ألا تنشأ من الوراثة؟ نجد في أولاد الأقوام المميزة ميولا متشابهة نحو بعض الأعمال. كذلك إذا تلاشت في قوم من الأقوام روح الشجاعة نسلا بعد نسل فإنهم سيجبنون وقت الحرب والقتال مهما حاولنا تشجيعَهم، أو على الأقل لن تظهر منهم الشجاعة والبسالة كما تظهر ممن اشتهروا بالشجاعة نسلا بعد نسل. ومع أن هذه الأمور قابلة للإصلاح، إلا أنها خاضعة لتأثير الوراثة. بالإضافة إلى ذلك تتولد السيئة من الطمع والغضب والخوف والحب وتوقّد الرغبة وغيرها. لاحظوا الآن،

أليست هي تلك الخصال التي يتعلمها الولد في الصغر؟ أليست التصرفات التي تبدو بريئة في صغره هي التي تؤدي إلى نشوء الذنوب والسيئات عنده؟ عندما تظهر مثل هذه التصرفات من الطفل يقول أبواه إنه صغير لذلك تصدر منه. ولكن أليس الصغر هو الزمن الذي يُنقش فيه كل شيء عميقًا؟ فلو عُلّم سارقُ أموال الناس في صغره ضبطَ النفس لما ارتكب السرقة بعد أن كبُر. يخرج أحد مجاهدًا إلا أنه يفرّ خوفًا من العدو فيقول عنه الناس في حيه: ما أخبثه! ولكن ألم تكن القصص المخوفة والباعثة على الجبن التي كانت ترويها له أمه في الصغر هي السبب في فراره من جبهة القتال؟

كذلك الغضب، لا يهتم الآباء بولدهم في هذا الجانب أيضا، ثم إذا كبر صار يتشاجر مع الجميع.

ثم ألا تتولد السيئة من ضعف العزيمة؟ وهل يحدث هذا الضعف بدون أي سبب؟ هل فكرتم في السبب وراء انكسار عزيمة الإنسان مرة بعد أخرى طول حياته حتى إنه لا ينجز شيئا؟ لم يحدث ذلك في يوم واحد، بل نشأ فيه منذ صغره، بل الصحيح أنه ينشأ في الصغر فحسب، وإلا فما السبب في فشله في الإقلاع عن السيئة مع رغبته الصادقة في تركها؟ فلو لم تكن تربيته فاسدة لكان يكفيه القول بأن هذا الأمر سيئ حتى يجتنبه، وأن هذا الأمر حسن فيعمل به.

والآن أخبركم كيف يمكن حماية الأولاد من هذا الضعف والنقص. أول ما يفتح باب الإثم لدى الإنسان تأثير تلك الأفكار التي يحملها أبواه قبل ولادته. فلا بد من سد هذا الباب أولا، وينبغي أن يرحم الناس أولادهم فيجعلوا أفكارهم طاهرة ونقية. فإن لم يستطيعوا ذلك كل حين وآن فليتبعوا العلاج الذي يقدمه الإسلام ليحموا أولادهم إلى حد ما. يذكر الإسلام علاجًا للذنب المكتسب وهو أن يدعو كلٌّ من الرجل والمرأة عند الجماع الدعاء التالي: بِاسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا[١٨].

هذه ليست شعوذة ولا سحرا، وليس ضروريا ترديد هذه الكلمات العربية، بل يمكن للإنسان أن يقول بلغته: اللهم إن الذنب شيء قبيح فاحفظنا منه واحفظ ولدَنا الذي ستهبه لنا. فإن هذا التفكير في مثل هذا الوقت يحول بين ذنوبه الوراثية وبين ولده. وقال النبي ﷺ لو قُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ بعد هذا الدعاء لَمْ يكن للشيطان فيه دخل. لعل البعض يستغرب أنه دعا بهذا الدعاء مرات عديدة إلا أنه لم يأت بالنتيجة المرتقبة. والرد على هذه الشبهة كالتالي:

---

[18] البخاري، كتاب التوحيد، باب السؤال باسماء الله تعالى والاستعاذة بها. (الناشر)

أولا إنهم لا يدعون هذا الدعاء بالطريق الصحيح بل يستخدمونه كورِدٍ يعتادون ترديده دون التركيز على معانيه.

ثانيا إنه ليس علاجًا لجميع السيئات بل تعالج به السيئات التي تنتقل ممارستها وراثيًا.

بعد انتقالها وراثيا تبدأ السيئة بتلويث أفكار الإنسان منذ صغره. ولقد عالج الإسلام هذا الأمر أيضا إذ اعتبر رسول الله ﷺ بداية زمن تربية الطفل بعد ولادته مباشرة. وأرى أنه لو كان بالإمكان تربية الطفل وهو في الرحم لقال النبي ﷺ بتربيته منذ ذلك الوقت، وما دام ذلك ليس ممكنًا لذلك بُدئت تربيته من وقت ولادته، ولأجل ذلك قال ﷺ: إذا وُلد لأحد وَلَد فعليه أن يؤذن في أذنه[19]. إن كلمات الأذان لا تُلقى في أذن الولد من أجل عمل الشعوذة أو السحر، بل القصد منه إفهام الوالدين أن وقت تربية الولد قد بدأ من الآن.

بالإضافة إلى الأذان أمر النبي ﷺ بتعليم الأولاد الأدبَ من الصغر، كما قدم أسوته ﷺ بتعليمه بعض أعزائه في صغرهم، فقد ورد في الأحاديث أن الإمام الحسن رضي الله عنه كان صغيرًا وقال له النبي ﷺ عند

[19] انظر كنـــز العمال رقم الحديث ٤٥٤١٤. (الناشر)

تناول الطعام: كُل بيمينك ومما يليك[20]. لعل عمر الإمام الحسن رضي الله عنه في ذلك الوقت يقارب السنتين ونصف. أما ما يحدث في بلادنا فإن الولد يدخل يده في الطعام كله ويملأ فمه ويلطخ به ثياب من حوله، وأبواه يضحكان جالسين دون أدنى مبالاة، أو يكتفيان بقول عابر له لا يقصدان منه تربية ابنهما بل لإراءة الناس أنهم قد قاموا بواجبهم.

وردت في الحديث واقعة أخرى أن الإمام الحسن رضي الله عنه أكل مرة تمرة من تمر الصدقة فأدخل النبي ﷺ إصبعه في فمه وأخرجها منه[21]. وكأنه كان يريد القول: عليك أن تأكل بكد يمينك ويجب ألا تكون عالة على الآخرين.

باختصار، إن التربية في الصغر هي المسؤولة عن تصرفات الإنسان في حياته المقبلة. فلقد قال النبي ﷺ: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ"[22]، كذلك فإن أبويه يجعلانه مسلمًا أو هندوسيًا أيضا. لا يعني هذا الحديث أن الطفل

---

[20] البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين. (الناشر)

[21] انظر البخاري، كتاب الزكاة، باب ما يذكره في الصدقة للنبي ﷺ. (الناشر)

[22] صحيح البخاري، كتاب الجنائز. (الناشر)

عندما يبلغ الحلم يأخذه أبواه إلى الكنيسة فينصّرانه، بل المعنى أن الطفل يقلّد أبويه ويستمع إلى أحاديثهما، لذلك يصبح على ما عليه أبواه. الحقيقة أن الطفل مفطور على التقليد، فإن لم يعلّمه أبواه شيئا قلّد أفعال الآخرين. يقول البعض يجب أن نترك الأولاد أحرارًا فسيصبحون أحمديين بأنفسهم عندما يكبرون. ولكنني أقول: إن لم يسمع الطفل أصواتًا أخرى من حوله فمن الممكن أن يقبل الأحمدية عندما يسمع عنها في شبابه، ولكن إذا كانت أصوات أخرى أيضا تتناهى إلى سمعه بشكل متواصل فلا بد أن يتعلم هذه الأمور من صغره، فتتكوّن شخصيته على ضوء ما شاهده بعينيه وسمعه بأذنيه. فإن لم تُسمعه الملائكة كلامَها فلا بد أن يصبح الشيطان قرينا له. وعليه فإن لم تُلقَ في أذنه أحاديث البر والخير فسيتلقى أحاديث الشر حتما ويصير فاسدًا وشريرًا. فإذا كنتم تريدون أن تضعوا حدًّا للسيئات فلا بد لكم أن تصنعوا لأولادكم معسكرًا منعزلا من الناحية التربوية حتى تنـــزعوا عنهم القابلية لارتكاب الإثم، وبالتالي ستكون أجيالنا القادمة في مأمن منه.

طرق التربية

والآن أسلط الضوء على طرق التربية وهي:

١- الأمر التربوي الأول عند ولادة الطفل هو الأذان في أذنه، وقد شرحت ذلك قبل قليل.

٢- يجب المحافظة على نظافة الطفل بحيث يجب تنظيفه مباشرة بعد تبوّله أو تبرّزه. لعل بعض الرجال يحبذون هذا القول لأنه يتعلق بالسيدات. ولكنني أقول: يجب أن ينتبه إليه الرجال أولا حتى ينبهوا أزواجهم. فعلى الرجال أن يُفهموا النساء هذه الأمور أنه لا يمكن أن تنشأ أفكار نظيفة لدى طفل غير نظيف. ولكن لوحظ عدم الاهتمام بهذا الأمر في مجتمعنا حيث إذا شعر الطفل بحاجة إلى التبرّز جعلته بعض الأمهات يتبرّز في ثوب ثم يطوينه ويتأبطنه. ولقد رأيت في القرويات من حول قاديان أنهن يُجلسن أطفالهن على الحذاء ليتبرّز فيه ثم يرمينه هنا وهناك. فإن لم يكن ثمة اهتمام بالنظافة الظاهرة للطفل فلا يمكن أن يتحلى بالنظافة الباطنية، ولكن إذا كان الطفل نظيفا في الظاهر فلا بد أن يعكس ذلك على باطنه فيصبح باطنه أيضا نظيفا وطاهرًا لكونه في منأى عن التلوث بتلك الذنوب التي تتولد بسبب الأوساخ والأدران. وقد ثبت طبّيًا أن الذنب يتولد في الإنسان في

البداية بسبب الوسخ. فإن لم يكن فرج الطفل نظيفا فلا بد أنه يحكه وبالتالي يشعر بلذة وهكذا يطلع على القوة الشهوانية في صغره. ولو روعيت نظافة الطفل ونُبّه كلما كبر إلى غسل هذه الأماكن ونظافتها فبإمكانه أن يُحفَظ من المساوئ الشهوانية إلى حد كبير، ويجب أن تبدأ مثل هذه التربية من يوم ولادته.

٣- يجب تغذية الطفل في وقت معين، مما يبعثه على كبح جماح رغبته فينجو من كثير من الذنوب، إذ إن السرقة وأعمال النهب وغيرها من السيئات تتولد نتيجة عدم السيطرة على الرغبة العارمة، لأن مثل هذا الإنسان يفقد السيطرة على عواطفه. والسبب في ذلك أنه كلما بكى في صغره أرضعته أمه فورًا. هذا التصرف ليس صحيحًا بل يجب أن يُرضع في وقت معين.

أما الأطفال الكبار فيجب أن يعطى لهم الطعام في وقت محدد مما يولّد لديهم الصفات التالية:

١) الشعور بالتقيد بالوقت.

٢) كبح جماح الرغبة العارمة.

٣) المحافظة على الصحة.

٤) التعود على العمل المشترك. فلو واظبوا على الأكل جميعا لتنـــزه مثل هؤلاء الأطفال عن الأنانية واتباع الأهواء النفسانية.

٥) تجنب الإسراف، لأن من يأكل بين حين وآخر فلا بد أن يأكل شيئا مما يعطى له ويُضَيِّع أيضا، ولكنه لو أعطي قدرًا معينا من الأكل في وقت معين فلن يضيع منه شيئًا، كما سيتدرب على الاكتفاء بشيء قليل وسد الجوع وكبح جماح الرغبة العارمة.

٦) محاربة الطمع، مثلا يمر الطفل من السوق فيرى شيئا فيها فيصر على أخذه، فلو لم يشتر له أبواه ذلك لكبَحَ رغبته، مما يدربه على التصدي للأطماع عندما يكبر.

كذلك لو كانت مثل هذه الأشياء موجودة في البيت فيجب أن يقال للطفل أنه يتلقاه وقت الطعام، وهذا الأمر هو الآخر يولد فيه القوة لدفع الرغبات النفسية. وبإمكان الفلاحين اتباع الطريق المذكور بخصوص المؤونة المتوفرة لهم مثل قصب السكر، أو الفجل والجزر أو السكر البلدي وغيرها.

٤- يجب تعويد الطفل على التبرّز في وقت معين، إذ إنه مفيد لصحته وإلى جانب ذلك تتولد في أعضائه حاسة التقيد بالوقت، وبذلك تتعود أمعاؤه فلا يشعر بحاجة إلى التبرز إلا عند الوقت المعين. إن بعض الناس في أوروبا بسبب شعورهم بحاجة إلى التبرز يستطيعون أن يخبروكم ما الوقت الآن لأنهم لا يشعرون بهذه الحاجة إلا عند وقت معين، وهذا الأمر مهم جدًّا للطفل. ينشأ الطفل المتقيد بالوقت مواظبا على الصلاة والصوم فلا يؤخر المهام الجماعية. علاوة على ذلك سيتحلى بقوة لإخماد ثوائره التي تكون في غير محلها، لأن أحد أكبر أسباب ظهور مثل هذه الثوائر هو قيامه بأعماله في غير وقتها المحدد ولا سيما الأكل والشرب، مثلا: كان الطفل مشغولا في اللهو واللعب، فدعته أمه لتناول الطعام في وقته المحدد إلا أنه لم يأت، ثم عندما جاء قالت له أمه تريث حتى أسخن لك الطعام، ولكنه يكون جوعان فلا يتمالك نفسه فيبدأ بالبكاء ويخرج ثوائره في غير محلها، لأنه لا يأتي إلا عندما يشتد عنده الجوع ولا يتمكن من مقاومته، فيثير الشغب.

٥- كذلك يجب أن يعطى له الطعام بكمية محددة يوميًّا، مما يولد لديه القناعة ويبعده من الحرص والطمع.

٦- يجب التنويع في الأطعمة، فيطعم اللحم والخضار والفواكه، لأن الأطعمة المختلفة أيضا تولد أنواعًا من الأخلاق. فلا بد من مراعاة التنويع في تغذية الأطفال لتتولد لديهم الأخلاق المتنوعة، إلا أنه يجب الإكثار من الخضار في الصغر والإقلال من اللحم، فاللحم يولد الإثارة التي يجب ألا تزداد في الطفولة.

٧- كلما نما الطفل ينبغي أن يُطلَب منه بعض الأعمال البسيطة على سبيل اللعب، كأنْ يُطلَب منه أن يأتي بإناء أو يضع شيئا في مكان معين، أو يناول أحدًا شيئًا آخر، كما ينبغي أن يسمح له باللعب لبعض الوقت أيضا.

٨- ينبغي تعويد الطفل على كسب الثقة بالنفس، مثلا إذا كان يريد شيئا موجودا أمامه فيجب أن يقال له: ستناله في وقت معين. وليس الحل إخفاء هذا الشيء لأنه سيتأسى بهذه العادة ويعتاد السرقة.

٩- ينبغي عدم المغالاة في مداعبة الطفل إذ أن الإكثار من المداعبة والتقبيل يولد لديه رذائل كثيرة لأنه في هذه الحالة سيتطلع إلى حب الناس واهتمامهم حيثما ذهب مما يولد لديه عيوبًا أخلاقية وشرورًا كثيرة.

١٠- يجب على الوالدين التحلي بالإيثار، مثلا إذا كان الطفل مريضا ومُنِع من أكل شيء ما فلا يأكلاه أيضا، بل يجب ألا يجلباه إلى البيت أصلا وأن يقولا له: لأنك لا تأكله فلا نأكله نحن أيضا، هذا ما سيخلق لدى الطفل صفة الإيثار.

١١- يجب الاهتمام بالطفل عند مرضه، لأن كثيرا من الأخلاق السيئة تتولد نتيجة المرض المزمن مثل الجبن والأنانية والضيق والضجر وعدم السيطرة على النفس والمشاعر وغيرها. بعض المرضى يطلبون من الآخرين الجلوس معهم، وبعضهم يصرخون على المارة من قربهم قائلين: ألا ترى؟ هل أنت أعمى؟ إن المرض المزمن يولد مثل هذه السيئات والسلوك السلبي. وبما أن الناس يسعون لتأمين الراحة للمريض أثناء مرضه لذلك فيرى

الطفل المريض حتى بعد شفائه أن من حقه أن ينال الراحة على الدوام.

١٢- يجب ألا يُحكى للطفل حكايات مرعبة لأنها ستولد لديه الجبن فلن يُقدم على الخطوات الشجاعة الباسلة عندما يكبر. ويجب أن تُحكى للطفل قصص عن الشجاعة إذا تولد لديه الجبن، ويُدفع إلى اللعب مع الأطفال الشجعان.

١٣- يجب ألا يُسمح للطفل باختيار أصدقائه بل ينبغي أن يتم ذلك من قبل الوالدين، فليختارا من كانت أخلاقهم عالية. وسيستفيد الوالدان من هذا الاختيار بالتعرف على آباء الأطفال ذوي الأخلاق العالية، فيبدأ التعاون فيما بينهم، وعندما يوجه الوالدان أولادهم ليلعبوا مع الأطفال المختارين فلا بد أن يراقبوا أخلاقهم أيضا.

١٤- وينبغي أن يعهد للطفل وظائف تتناسب مع عمره، وهذا سيساعده في تولّد الشعور بالمسؤولية لديه. هناك قصة مشهورة تقول: كان لشخص ابنان فدعاهما وناول أحدهما تفاحةً وطلب منه أن يقسمها بينه وبين

شقيقه، فلما أراد أن ينصرف مع التفاحة سأله والده هل تعرف كيفية التقسيم؟ قال: لا. قال له والده: يأخذ القاسم أقل ويعطى للآخر الزيادة. فلما سمع ابنه ذلك قال: إذًا لا بد أن تعطيها لشقيقي! يبدو أن هذا الطفل قد سبق أن تعود على بعض السيئات، ولكنه كان يدرك في نفس الوقت أنه إذا ألقيت هذه المسؤولية على عاتقه فلا بد أن يوثر الآخر على نفسه. وهناك بعض الألعاب المفيدة لمعالجة هذه العادة السيئة منها كرة القدم وغيرها. ولكن يجب مراقبة الأطفال أثناء اللعب أيضا حتى لا يتعودوا على التصرف السيئ. ومما يلاحظ عمومًا أن الوالدين يؤيدان موقف ولدهما ويجبران أولاد الآخرين على التسليم بموقف ابنهما مما يجعله متعنّتًا ومتشبّثًا بموقفه دوما.

١٥- يجب أن يُرسّخ في قلب الطفل فكرةَ أنه صالح ولطيف. لقد ذكر النبي الكريم ﷺ نكتة رائعة حيث قال ما معناه لا تشتموا أولادكم لأنه إذا شتم أحد ولده قال مَلَك أن يكون كذلك فيصبح كذلك. يعني هذا الحديث أن الملائكة تظهر نتائج الأعمال، فإذا قيل للطفل إنك

سيئ فإنه يرسخ في ذهنه هذه الصورة وفي النهاية يصبح كذلك. فيجب ألا يُشتم الولد بل يُعلّم أخلاقًا حميدة ويُمدح على محاسنه ويُشجّع.

جاءتني اليوم ابنتي الصغيرة تطلب مني بعض النقود، فلما أعطيتها مدّت يدها اليسرى لأخذها، فقلت لها هذا ليس صحيحًا. فانتبهت وقالت نعم هذا خطأ ولن أفعله ثانية. فلما نُبّهت شعرت فورًا بخطئها.

١٦– يجب ألا ينشأ عند الطفل سلوك العناد، فإذا عاند الطفل في أمر معين فعلاجه أن تحوِّلوا انتباهه إلى شيء آخر، ثم حاولوا إزالة السبب الذي عاند لأجله.

١٧– يجب مخاطبة الولد بكل أدب، لأن الطفل يقلد أبويه، فلو خاطبتموه بقولك: أنتَ، فسيخاطبك بالطريقة نفسها.[٢٣]

١٨– ينبغي تجنب الكذب والتكبر والكلام اللاذع أمام الطفل لأنه سوف يتعلم هذه الأمور. الوالدان عمومًا يعلّمان طفلهما الكذب، وذلك إذا فعلت الأم شيئًا

---

[23] علمًا أن في اللغة الأردية لا يحبذ أن يخاطب الطفلُ الكبارَ بقوله أنت بل يجب أن يقول أنتم ولو كان المخاطب واحدًا. (المترجم)

وسألها الأب ردّت بأنها لم تفعل ذلك، ومنها يتعلم الطفل الكذب. لا أقصد أن يتكلم الزوجان بمثل هذا الكلام في غياب الطفل، بل القصد منه أن من لا يستطيع تجنب هذه المعايب في كل الأحوال فعلى الأقل يكون حذرًا من ارتكابها عند وجود الأطفال حتى لا ينتقل هذا المرض إلى الأجيال القادمة.

١٩- ينبغي إنقاذ الطفل من تعاطي أي نوع من المخدرات، لأنها تضعف أعصاب الأطفال. ومن يتعاطى المخدرات تنشأ لديه عادة الكذب والتقليد الأعمى. كان أحد أقارب الخليفة الأول رضي الله عنه مدمنا على المخدرات و لم يكن يهتم بالدين مطلقًا، فجاء في إحدى المرات بفتى معه وادعى أنه سيجعله مثله. قال له الخليفة الأول رضي الله عنه: يكفي أنك أفسدت نفسك فلا تفسده، إلا أنه لم يقلع عن إرادته. وفي إحدى المرات دعا الخليفة الأول رضي الله عنه الفتى وقال له لماذا لا تدرك خطورة الموقف بمرافقتك هذا الرجل الفاسد؟ لماذا لا تتعلّمْ حرفةً أو مهنة؟ ففهم هذا الفتى الأمر وتركه وهرب. ولكن جاء هذا الرجل بفتى آخر بعد فترة وقال للخليفة الأول: أفسِده إن استطعت

الآن. كان يقصد من إفساده إخراجه من سيطرته، فنصحه الخليفة الأول ﵁ كثيرًا حتى عرض عليه مبلغًا من المال ليبدأ به عمله إلا أن ذلك الفتى لم يرضخ لقوله، فسأل الخليفة الأول ﵁ قريبه هذا: ماذا فعلت به حتى لم يقبل مني أية نصيحة؟ فقال: هو يتعاطى المخدرات معي لذلك لم يعد يقوى على معارضتي وترْك متابعتي. قصارى القول، إن الإدمان على المخدرات يسلب قوة الإقدام والعزيمة.

الكذب أخطر الأمراض لأن ذرائع نشوئه دقيقة جدًّا، فلا بد من إنقاذ الطفل من هذا المرض. وهناك بعض الأمور المؤذية التي ينشأ منها الكذب تلقائيا، مثلا: بعض الأطفال يتمتعون بقوى دماغية عالية جدًّا، فيعتبرون كل ما يفكرون فيه أو يخطر ببالهم أمرا واقعيًا وحقيقيًا. كانت إحدى أخواتي تروي لنا في صغرها منامًا طويلا كل يوم. وكنا نستغرب كيف يمكن أن ترى كل يوم مثل هذه الرؤى الطويلة، ثم عرفنا بعد ذلك أن كل ما يخطر ببالها قبل النوم كانت تعتبره منامًا. ففي بعض الأحيان يعتبر الطفل تخيُّلَه حقيقةً واقعيةً وهكذا يتعود رويدًا رويدًا على

الكذب. لذلك لا بد من إفهام الأطفال أن الخيال يختلف عن الحقيقة، إذا أدرك الطفل جيدًا ماهية الخيال فبإمكانه تجنب الكذب.

٢٠- يجب منع الأطفال من أن يلعبوا في مكان منعزل.

٢١- ينبغي منعهم من التعرّي.

٢٢- يجب تعويد الأطفال على أن يعترفوا بخطئهم دومًا، وها هي بعض الطرق المؤدية إلى ذلك.

١- التزام الآباء بعدم التستر على أخطائهم أمام الأطفال.

٢- إذا أخطأ الطفل فيجب أن تتعاطفوا معه لدرجة يشعر بأن خسارة كبيرة لحقته لذلك يتعاطف معه أفراد عائلته، ويجب إفهام الطفل أن خطأه هذا أدى إلى هذا النوع من الخسارة.

٣- ومن أجل إنقاذ الطفل من الخطأ في المستقبل ينبغي التحدث إليه بطريقة يشعر بها أن تصرفه هذا قد آذى والديه وسبب لهما مشكلة كبيرة، مثلا إذا ألحق تصرف الطفل ضررًا ماديًا فيجب أداء قيمة هذا الضرر أمامه، هكذا سيفهم الطفل أن نتيجة الإضرار بالأشياء ليست

جيدة. لا شك أن الكفارة عقيدة فاسدة جدًّا لكن تطبيقها (على شكل تعويض) ضروري عندي لتربية الطفل على هذا النحو.

٤- إذا أردتم توبيخ الطفل فيجب أن يكون ذلك على انفراد.

٢٣- يجب تمليك الطفل بعض المال مما يولد فيه الصفات التالية:

١- صفة التصدق

٢- التوفير

٣- مساعدة الأقارب، على سبيل المثال إذا كان الطفل يملك ثلاث بيسات[٢٤] فيطلب منه أن يشتري ببيسة واحدة شيئًا ويُشرك الأولاد الآخرين في أكله، ويشتري بالثانية لعبةً له ويتصدق بالثالثة.

٢٤- يجب أن يكون هناك بعض الأشياء مشتركةً بين الأطفال، مثلا يمكن أن يعطى لهم لعبة ما ويطلب منهم أن يلعبوا بها جميعا لأنها ملك الجميع فلا يفسدها أحد،

---

[24] الروبية الواحدة تحتوي على ١٠٠ بيسة، وكانت تستخدم قديما لما كان للبيسة قيمة مالية لا بأس بها، أما الآن فلا تساوي شيئا. (المترجم)

وهكذا يتولد لديهم الحرص على المحافظة على الأملاك العامة.

٢٥- ينبغي تعليم الطفل الأخلاق والآداب الإنسانية بشكل مستمر.

٢٦- ينبغي مراعاة رياضة الطفل وتعويده على تحمل المشاق، لأن ذلك يفيده في إصلاح نفسه وفي رقيه الدنيوي أيضا.

خلاصة القول، لن يُعَدَّ الطفلُ أنه قد تلقى تربية حسنة وفق التعريف بالأخلاق والروحانية إلا إذا تحلى بما يلي:

١- أن يكون خلوقًا ويتمتع بالروحانية.

٢- يقدر على تحويل الآخرين ليكونوا مثله.

٣- يقدر على التقيد بقوانين الجماعة ونظامها.

٤- أن يكنّ لله تعالى حبًّا خالصًا يفوق حبه لأي إنسان أو أي شيء آخر.

فالمستوى المطلوب من الخاصية الأولى هو:

١- أنه عندما يكبر فيجب أن يطيع أوامر الشريعة لفظًا وعملاً واعتقادًا.

٢- أن تكون عزيمته قوية حتى لا يتعرض لفتنة وابتلاء في المستقبل.

٣- وينبغي أن يكون قادرًا على كسب العيش والدفاع عن نفسه وحمايتها.

٤- ينبغي أن يكون ساعيًا لحماية ممتلكاته وقادرًا على ذلك.

والمستوى المطلوب من الخاصية الثانية هو:

١- ينبغي أن يكون قدوة حسنة في الأخلاق.

٢- أن يشارك في تربية الآخرين وتعليمهم.

٣- أن لا يضيع موارده بل يجب أن يستخدمها بأحسن وجه ليفيد بذلك الدين والجماعة.

والمستوى المطلوب من الخاصية الثالثة هو:

١- ينبغي أن يكون مهتمًّا بصحته.

٢- أن يكون محافظًا على أموال الجماعة وحقوقها.

٣- ينبغي ألا يفعل شيئا يُلحق به ضررًا بحقوق الآخرين.

٤- ينبغي أن يكون على استعداد لقبول جميع المكافآت والعقوبات التي قد يفرضها عليه المجتمع.

والمستوى المطلوب من الخاصية الرابعة هو:

١- ينبغي أن يحب كلام الله تعالى ويُكنّ احترامًا لائقا له.

٢- إن مجرد اقتران اسم الله تعالى بموقف من المواقف يبعثه على التمسك به مع الاحترام اللائق به.

٣- رغم عيشه في هذه الدنيا ينبغي أن يكون منقطعًا عنها كل الانقطاع.

٤- يجب أن يظهر فى شخصه سمات حبه لله.

بعد ذكر الأمور المتعلقة بتربية الطفل بقي أن أجيب على سؤال: كيف يمكن تخليص الأطفال من السيئات التي تولدت فيهم أو نشأوا عليه؟ وهذا ما سأتناوله غدًا إن شاء الله.

الخطاب الثاني

ألقاه حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه

في ٢٨ كانون الأول /ديسمبر ١٩٢٥م

في الجلسة السنوية بقاديان

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

كنت أعاني من السعال مسبقا، أما الآن فقد بحّ صوتي بسبب خطاب الأمس وخطابي اليوم في السيدات، ولكن لا داعي للقلق لأن صوتي سيصلكم بإذن الله تعالى.

قبل الشروع في الخطاب أريد أن أنصح الإخوة أن يستوعبوا عظمة ذكر الله تعالى، فإنكم لا تحضرون ههنا للهو واللعب، إنما تأتون لذكر الله تعالى ولرفع اسمه، لذلك لا بد من مراعاة آداب ذكر الله تعالى. ولكن مع الأسف أقول إن بعض الإخوة لا يراعون هذه الآداب فيخرجون من مكان الجلسة دونما سبب أو حاجة، ثم يقفون هنا وهناك ويتحدثون. لا شك أن ما يقارب ثمانمئة أو ألف شخص من الإخوة غير الأحمديين أيضا يشتركون في هذه الجلسة، وبما أنهم لا يعتادون سماع المواعظ لمدة طويلة فإن معظمهم يغادرون مكان الجلسة ثم يعودون إليه، ولكن لوحظ أنهم ليسوا وحدهم الواردون

المغادرون، بل يخرج معهم بعض الأحمديين أيضا رغبة في تبليغهم. ولكن يجب أن تتذكروا أن الواجب الأكبر والأساس للإنسان في دينه ما يخص نفسَه. عن أبي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إذا كان المرء يهمه هداه فلا يضره إذا ضل غيره، إنما عليه الاهتمام بأمر نفسه، وألا يضيع هداية نفسه من أجل غيره.[٢٥]

يضحّي المؤمن بالمال والنفس في سبيل الدين، ولكن لا يسع المؤمن أن يضحي بدينه ولو بالدنيا كلها لأنه أثمن وأغلى من كل شيء دنيوي. فيمكنكم مغادرة مكان الاجتماع عند قضاء حاجة من حوائجكم ولكن يجب الإسراع في العودة إليه لأنكم لا تعرفون متى تأتي تلك الساعة التي يسعى الإنسان ليحظى بها طول حياته.

---

[25] هذا هو مضمون الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾(المائدة ١٠٦)، إلا أننا لم نعثر على هذه الرواية، وأقرب ما وجدناه بهذا المعنى هو كالتالي: عَنْ هِلَالِ بْنِ خَبَّابٍ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي عِكْرِمَةُ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ فَقَالَ إِذَا رَأَيْتُمْ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ الْزَمْ بَيْتَكَ وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ. (سنن أبي داود، كتاب الملاحم). (المترجم)

فقد تأتي في حياة الإنسان ساعة يتحول فيها من كافر إلى مؤمن بسبب كلمة واحدة، ومن عبد الشيطان إلى عبد الرحمن. انظروا ماذا حدث مع عمر رضي الله عنه الذي كان قد بلغ ذروته في معاداة النبي ﷺ ولكن قولا واحد فحسب غيّر مجرى حياته. لقد خرج بنية قتل النبي ﷺ ولكنه علم أن أخته قد أسلمت. فذهب إلى بيتها، فسمعها تتلو القرآن. فاقتحم الغرفة غاضبا وطفق يضرب زوج أخته، فلما أرادت أخته إنقاذ زوجها أصابها الضرب أيضا، فندم عمر على ما فعل، وهنا قالت له أخته: أتغضب علينا لأننا آمنا بإله واحد؟! فاهتز عمر من الرأس إلى الأخمصين لدى سماع هذا القول فقال: حسنًا، أرُوني ما كنتما تقرآن. فقالت لـــه: كلا، اذهبْ واغتسل أولاً، ثم سنُسمعك هذا الكلام المقدس. فاغتسل ورجع، فسمع تلاوة القرآن الكريم فأخذته الرقة وسالت دموعه فتوجه إلى النبي ﷺ ودق عليه الباب، فلما علم بعض الصحابة أنه عمر أشاروا عليه بعدم فتح الباب كي لا يلحق أي ضرر بأحد لأنه رجل شديد. فقال حمزة رضي الله عنه إذا أتى مدفوعا بمعارضته فبِيَدِنا السيف أيضا. وأخيرًا سمح له النبي ﷺ بالدخول، فلما جاء قبالته قال له ﷺ: إلامَ ستظل سادرًا في

معارضتي؟ قال عمر يا رسول الله، إنني لم آت معارضًا، بل أتيت لأكون عبدًا من عبيدك. [٢٦]

انظروا كيف هُدي عمر رضي الله عنه. فلو لم يقصد هذا المجلس لربما ظل محرومًا من الإيمان. لديكم فرصة سنة كاملة للاسترخاء، فيجب في هذه الأيام المعدودة الاستماع إلى كلام الله تعالى ولو بتحمل شيء من المشقة وعدم ضياع ثانية من هذا الوقت.

والأمر الثاني الذي أريد قوله لكم هو كما أخبرت بالأمس أنني كنت قد بدأت مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأردية، ولقد أنهيت بفضل الله تعالى ترجمة سورة البقرة في ٢٠ ديسمبر الفائت، وأتوقع أن ينشر في السنة القادمة المجلدُ الأول المحتوي على ترجمة سبعة أجزاء ونصف. أطلب من الإخوة الدعاء أن يوفقني الله تعالى لإتمام هذه المهمة وأداء هذا الواجب دون أي عائق وأتمكن من إيصال ترجمة معاني القرآن وتفسيره للإخوة جميعا.

والأمر الثالث الذي أقوله لكم هو إنني قد لفتُّ أنظار أفراد الجماعة إلى المشاكل المالية التي تعانيها الجماعة، وأقول لكم اليوم: لا داعي للقلق لأن هذا الوضع أيضا يشكل آية على صدق الجماعة.

---

[26] السيرة النبوية لابن هشام، إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (الناشر)

كتب أحد المؤرخين الفرنسيين: لقد قرأت عشرات الكتب التي تذكر أن محمدًا (ﷺ) كاذب ولكن ماذا أفعل بتلك الكتب التي أرى فيها أن محمدًا يجلس بين الفقراء والهمجيين غير المثقفين من الناس في غرفة ضيقة تسمى مسجدًا مغطًّى بجريد النخل يدلف المطر من سقفه حتى يضطرون ليسجدوا في الماء والوحل. ومن بين هؤلاء - الذين لا يجد معظمهم ثيابا كافية لتغطية أجسامهم- مَن يشير عليهم كيف يمكنهم فتح العالم كله، ثم نرى أنهم فعلا بعد بضعة أعوام قد حققوا ما أرادوا. يقول هذا المؤلف إن آلاف صفحات المعارضين تبدو لي تافهة أمام هذا الحدث الوحيد. وعليه فلو انضم الأمراء والملوك إلى جماعة المسيح الموعود عليه السلام فور إعلانه عن دعاويه لما ثبت أن ما أحرزه من نجاح باهر هو فعل الإله القادر بل لاعتبره الناس فعل الأمراء والملوك. فلما أعلن عليه السلام عن دعاواه انقلب جميع أقاربه ورفقائه وأعزائه إلى أعداء ألداء له. كان المولوي محمد حسين البطالوي صديقه الحميم الذي كان يشهد لحضرته لعلمه الغزير ومعرفته الدقيقة إلا أنه أشاع إثر دعواه عليه السلام بأنه قد اختل عقله — والعياذ بالله — وادعى بأنه الذي رفعه وهو الذي سيُسقطه. بالإضافة إلى ذلك فقد عارضه مشايخ العالم كله واستصدروا فتاوى التكفير ضده من العرب والعجم، ولكن مع كل ذلك فقد نهض عليه السلام

وحيدًا وقال لا شك أنه ليس معي أحد اليوم وأصبح العالم كله يعاديني، ولكن ماذا أفعل بهذا النداء الإلهي الذي لا أزال أسمعه: "جاء نذير في الدنيا، فأنكروه أهلها وما قبلوه، ولكن الله يقبله، ويُظهر صدقه بصولٍ قويٍّ شديدٍ صول بعد صولٍ."[27] كيف لي أن أكذّب هذا النداء. كانت الحكومة وقتها تخالفه والناس أيضا يعادونه ولكن ماذا كانت النتيجة؟ كان هو الوحيد في جهة والعالم كله في الجهة الأخرى. ولكن انظروا ههنا الآن أن عددًا كبيرًا قد شُغِفوا بحبه، نرى حشدًا كبيرًا منهم ههنا اليوم أما عددهم في العالم كله فقد وصل إلى مئات الألوف.

لما زرت الشام في العام الماضي لقيني أحد كبار أدباء دمشق الذي يُعتبَر مجدّدًا في الأدب العربي وقال لي مستهزئا: لا تنشروا كتب المرزا المحترم ههنا لأنها تحتوي على أخطاء لغوية، فلن تترك لدى الناس انطباعًا جيدًا. فقلت له: ها إنني جالس بين يديك فيمكنك أن تقدم لي أي اعتراض على كتب المسيح الموعود عليه السلام، ولن أبرح هذه الأرض حتى أثبت بطلان ادعائك. فقال: لا أريد أن أنافسكم إلا أنني نصحت لكم. قلت له: يمكنك أن تنافس إذا استطعت. قال:

[27] إزالة أوهام، الخزائن الروحانية ج٣ ص٤٤١. (الناشر)

هذا سيضرّ بكم. قلت: إذا كنا على الباطل فمن واجبك أن تتحدانا، ولكن إذا كنا على الحق فلن تضرّنا معارضتك ولا تحديك بل سيفيدنا. فلم ينبس ببنت شفة و لم يقدم لي أي اعتراض. ثم قال: لا يمكن للعرب أن يؤمنوا بالمسيح الهندي. قلت له: سأقيم هنا مركز الجماعة وسينشأ هنا فرع الجماعة قريبا وافعل ما تستطيع للحيلولة دونه. كنا قد مكثنا هناك خمسة أيام فقط، ولكن ظهرت بوادر قدر الله تعالى قبل مغادرتنا إذ تلقيت في الساعة العاشرة ورقة من شخص مثقف يعرف اللغة العربية والفارسية والتركية أيضا قال فيها: أنتظر لقاءكم ههنا منذ الصباح وقد لا أجد لديكم وقتًا الآن لذلك أطلعكم من خلال هذه الوريقة أنني آمنت بسيدنا الميرزا، ويمكنك أن ترسلني للتبليغ حيث تشاء.

أما الآن فقد وصل بعض مبلغينا إلى هناك وتأسست الجماعة بفضل الله تعالى. وأرسل لي هذا الشخص - الذي كان قد قال لي سابقا إنه لن يؤمن العرب بالمسيح الهندي - رسالة يقول فيها: أرجو ألا تسيئوا بي الظن، منذ الآن فصاعدًا لن أعارضكم أبدًا.

فينبغي ألا يقلقكم فقركم وضعفكم، بل الذي يظن أن فقرنا وضعفنا سيحول دون نجاحنا فهو يشرك، لأنه يظن أنه هو من ينجز أعمال الجماعة، وفي الوقت نفسه من يظن أنه عديم الجدوى فهو

يتهم الله العليم القدير بأنه اختار لفتح العالم مَن لا طائل منه. من يخرج للقاء العدو حاملا بندقية مكسورة أو سيفًا مكسورًا فلا يسميه الناس جنديًا ناجحًا، وعليه فمن اختاره الله تعالى لخدمة الجماعة فلا يمكن أن يكون عديم الجدوى. بل من يختاره الله تعالى فهو الشخص المعزَّز حقيقة وليس بذليل مطلقا.

لقد قال أحد زعماء المدينة قبل ثلاثة عشر قرنا: لَيُخرجنّ الأعزّ – يقصد نفسه- من المدينة من هو الأذلَّ، ويقصد بذلك الرسول الكريم ﷺ والعياذ بالله. يقول الله تعالى ردًّا عليه: إنه يقول بأن العزة له، كلا بل العزة في الإيمان بالرسول[28]. فلما سمع ابنه هذا القول جاء إلى النبي ﷺ وقال: سمعت أن أبي قال كذا وكذا، وعقابه أن يُقْتَل، ولكن أخشى أن تأمر به غيري فيقتلَه، فلا تَدَعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبيّ يمشي في الناس، فأقتله.[29] فلعله أدرك قدْره جيدًا بعد سماعه هذا القول من ابنه.

فلا تنظروا إلى مواردكم القليلة وعلمكم اليسير ومكانتكم المتواضعة، واعلموا أن الجماعة قد تشكلت وبلغت مبلغها الحالي

---

28 البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة "المنافقون". (الناشر)

29 أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣ ص ١٩٧، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٧٧ هـ. (الناشر)

بموارد كانت أقل بكثير من مواردنا الحالية. فإذا كان عددنا القليل قد جلب مئات الآلاف من الناس إلى هذه الجماعة فلماذا لا يتمكن مئات الألوف من الأحمديين الآن من جلب الملايين؟

قبل أيام قليلة رأيت في رؤيا أنني ألقي خطبة أقول فيها: يجب أن نهتم بصحة أطفالنا لأنه سيقع على عواتقهم أضعاف ما تقع الآن على عواتقنا من أعباء. فسترى أجيالنا القادمة أن القوى الكبرى والعظيمة من العالم سوف تضطر للاعتراف بأنه لا يمكن الآن القضاء على الجماعة الإسلامية الأحمدية، ولكن الله تعالى لن يرضى بهذا فقط، بل يزداد عدد أفراد الجماعة باستمرار حتى يضطر الناس للقول إنه لا يوجد في العالم إلا الأحمدية. لقد أعلن المسيح الموعود عليه السلام في بداية عهده حيث لم يكن معه شخص واحد فقال: لقد أخبرني الله تعالى بأن جماعتي سوف تزدهر ازدهارًا عظيمًا لدرجة لن تبدو مقابلها جماعات العالم إلا كمثل طوائف الغجر القديمة. فبعض الناس يؤمنون اليوم وبعضهم غدًا وآخرون بعد غدٍ، وهكذا ستظل الجماعة في ازدهار مستمر يومًا بعد يوم، وتزداد قوةً ساعةً بعد ساعةٍ، وسيؤمن بالمسيح الموعود عليه السلام الفقير والغني وعامة الناس وخواصهم والملوك ورعاياهم، حتى لا تبقى في العالم كله إلا هذه الجماعة الإسلامية الوحيدة، أما المذاهب الأخرى فستتلاشى

مقابلها كتلاشي النجوم عند طلوع الشمس البازغة. هذا من إخبار الله تعالى فلا بد أن يتحقق، فلا يمكن أن يتأثر إيماننا بعراقيل العالم مهما كانت عملاقة، ولا يمكن أن نيأس نظرًا إلى معارضة الناس، وأنى لمن عاين تشكيل جماعة مئات الألوف بواسطة شخص واحد أن ييأس من رقي الجماعة وازدهارها في المستقبل؟ لسنا ضعاف الإيمان حتى نظن أننا لن نستطيع فتح العالم مع رؤيتنا مئات الألوف من الآيات ومع مشاهدتنا تحقق ما لا حصر له من وعود الله تعالى. لا شك أننا ضعاف ولسنا أقوياء ولا نملك الأدوات الظاهرية، فلسنا نحن من يقوم بفتح العالم، بل الله الذي يملك جميع القوى والقدرات سيفتح لنا العالم كله. فينبغي ألا نقلق نظرًا لبعض العراقيل والمشاكل، بل يجب أن نكون واثقين كل الثقة من تحقق وعود الله تعالى.

أعود الآن إلى الموضوع الرئيس. لقد وصلنا البارحة إلى موضوع: كيف تتيسر للإنسان تزكية النفس وطهارة القلب؟ وما هي الذرائع التي تساعد المرء على تجنب الآثام عند بلوغه الحلم وتمكنه من الالتزام بأعمال البر والصلاح؟

الرد على هذا التساؤل هو كما يلي: إن الطبائع الإنسانية أنواع، منها الأدنى ومنها الأعلى، فلا يمكن أن يصلح قانون واحد

عام لجميع الطبائع والسجايا، كما لا يمكن أن يفيد علاج واحد جميع المرضى، بل نرى أنه لا ينجع علاج واحد لجميع المرضى الذين أصيبوا بمرض واحد ناهيك أن يكون ناجعًا ومفيدًا لجميع الأمراض والمرضى. لقد لاحظت أن بعضهم إذا أصيب بالنـــزلة فشرب القهوة فإنه يشفى منها خلال ساعتين، ولو تناول بعضهم اللبن الرائب الممزوج بالسكر نال الشفاء، ولكن بعضهم يحتاجون إلى نصح الأطباء ولا يشفون إلا بعد خضوعهم للعلاج عدة أيام، ولكن منهم من تحتار عقول الأطباء في الكشف عن ماهية مرضه وسبب تعرضه له. خلاصة القول، تختلف أمراض الناس باختلاف طبائعهم، كما أن استعادة الصحة أيضا تتعلق باختلاف طبائعهم وطرق علاجهم. نظرًا إلى هذا الأمر سأبين لكم طرقًا لتجنب الذنوب. وأتناول أولا الفطرة التي لم تتلوث بصدأ الذنوب، وهي الفطرة التي لا تزال قادرة على استخدام العقل والاستمرار في الأعمال الصالحة.

ويجدر بالذكر ههنا أن الطهارة في الإسلام لا تعني أن يتفوه أحد بكلمات طيبة أو تصدر منه أعمال حسنة فحسب، بل طهارة القلب هي الطهارة الحقيقية، فلا يعدُّ طاهرًا عند الله تعالى من ليس بطاهرٍ من قلبه. فلو أن أحدًا لا يرتكب إثما مطلقًا ولكنه يجد في

قلبه حبًّا للسيئة، ويتلذذ بذكر الذنوب، فلا يمكن أن يُدعى صالحًا أو طاهرًا ما لم يضمر في قلبه الكراهية والنفور من التلوث بالآثام كذلك. بعض الناس لا يشتمون عند الغضب، إلا أن قلبهم لا يفتأ يقول: فلان وقح وشرير، فلا يسعنا أن نقول عن مثل هؤلاء الناس إنهم طاهرون، بل سنقول عنهم إنهم يستبطنون القذارة. فإن الطهارة في الإسلام هي الطهارة القلبية، أما الأعمال واللسان فهي الأدوات والذرائع التي تظهر منها هذه الطهارة للعيان. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة ٢٨٥)، أي أن حالة القلب تخضع للمحاسبة سواء أأبديتموها أم أخفيتم. ولقد ذكر الله تعالى ههنا نقطة عجيبة أن الحالة القلبية هي الأصل، وهي ما سيحاسب الله تعالى الناس عليها، أما اللسان والأعمال فهي تعبّر عن هذه الحالة. يقول تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أي إذا كان قلبكم يكنّ قذارةً فستؤاخذون عليها ولو لم تعملوا أعمالا سيئة و لم تتكلموا كلامًا بذيئا. يقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التغابن ١٧)، أي يجب القيام بجميع هذه

الأعمال، وبالإضافة إلى ذلك يجب أن تطهروا أنفسكم أيضا لأن مَن يضمر السيئةَ في قلبه فلا بد أن يتعرض للمؤاخذة.

بعد التوضيح أن الطهارة القلبية هي الطهارة الحقيقية أخبركم أن هناك ثلاث طرق تجعل الفطرة غير ملوثة بصدأ الذنوب، وهي:

١- أن يكون لدى الإنسان علم بالسيئات ومعرفة بالحسنات. إذ كيف لمن لا علم له بالحسنة أن يكسبها مهما حرّضه قلبه عليها؟ وأنى لمن لا علم له بالسيئة أن يجتنبها مهما دفعه قلبه نحو اجتنابها؟ فلا بد أن يعرف الإنسان ما يجب عليه فعله وما يجب عليه اجتنابه، لأنه ليس كافيًا أن يتحلى أحد بقوة لفعل شيء أو لاجتنابه دون أن يعرف ما يجب عليه فعله. على سبيل المثال يرغب أحد في أن يُفرح صديقه، ولكن إن لم يخبره هذا الصديق عما يفرحه فلا يستطيع أن يحرك ساكنا. فاكتساب الإنسان العلمَ بالسيئات والحسنات هو ما يجب القيام به أولا.

٢- يجب أن يعرف مواقع اجتناب السيئات والعمل بالحسنات. على سبيل المثال إذا قلتم للخادم أن ينقل أثاثًا إلى داخل البيت، وهو مستعد للعمل، ولكنه

إنْ لم يعرف مكان كل شيء فسيضع الطاولة مكان الكرسي أو العكس. هذه هي حال ذلك الشخص الذي لا يعلم مواقع اجتناب السيئات واكتساب الحسنات، فلا بد من العلم بالمحل المناسب لهما.

٣- يجب أن يعرف السيئات التي هو واقع فيها والتي يريد أن يتخلص منها. وأنى له أن يعالج نفسه ما لم يعرف هذا الأمر؟ فلا بد أن يعرف الإنسان السيئات الموجودة في نفسه قبل البدء في المعالجة الروحانية لها واجتنابها، كما لا بد أن يعرف الحسنات التي يشعر بالنقص فيها، وذلك لكي يتمكن من اكتسابها وتدارك هذا النقص. فلو كان قلب أحد يخلو من الصدأ والظلمة والصدود فسيصبح صالحا بعد معرفة الأمور المذكورة. فلا يسع أحدًا معالجة نفسه ما لم يعرف نقاط ضعفه، ولكن إذا علمها فبإمكانه معالجة نفسه بكل سهولة.

والآن أشرح هذه الأمور الثلاثة البارزة بشرح مقتضب. فأبدأ بضرورة علم الإنسان بالسيئات والحسنات. لقد لاحظت أن كثيرًا من الناس يتمتعون بقوة ليصبحوا صالحين ولكنهم لا

يعلمون شيئًا عن السيئات والحسنات. ولقد رأيت كثيرًا من الرجال والنساء يقولون: هل تروننا نفسق أو نفجر؟ وهل نمارس الظلم؟ أنأكل أموال الناس؟ أوَنكذب ونزني؟ إذا لم تكن فينا كل هذه الموبقات فما هي السيئة التي تجدونها فينا؟ وكأنهم يظنون أنّ مَن ليست فيهم هذه العيوب التي عدّدوها فلا عيب فيهم البتة. ويعتبر الناس هذه العيوب الخمسة عيوبًا شرعية وليس هناك من عيب غيرها في رأيهم، في حين أن هناك سلسلة طويلة من العيوب التي يصل عددها إلى المئات، ولا يسمح لي الوقت في هذا المقام بالتطرق إلى ذكرها، كما أن بعض العيوب تفوق علم الإنسان. ولم يكن في العالم إنسان يعلم علمًا كاملا عن العيوب كلها سوى سيدنا محمد ﷺ. لا شك أن الناس الآخرين أيضا يُطلَعون على العيوب ولكن لم ولن يعلم بها أي إنسان كما كان الرسول الكريم ﷺ يعلم بها.

لقد رأيتني مرة في الرؤيا أقول لأحد أصدقائي: عدم ممارسة الرياضة أيضا إثم. ولكن لا نستطيع أن نعتبره إثما بشكل عام، إلا أن الذي تتوقف على حياته حياةُ مئات ألوف من الناس فلا شك أنه سيرتكب إثما إن لم يكترث بصحته. هل يمكن أن يكون في العالم أشجع من سيدنا محمد ﷺ؟ ولكن كان

الصحابة يحرسونه ويحرسون مسكنَه أثناء الحرب. وربّ قائل يقول كان النبي ﷺ يقدّم حفاظةَ نفسه على نفوس الآخرين، إلا أنه كان ضروريًا جدًّا لأن حياة العالم كله كانت منوطة بحياته ﷺ، فلولاه لما انتشر الإسلام في العالم. وعليه فإن راحةَ بعض الناس واهتمامَهم بصحتهم حسنةٌ أيضا، وعدم الاهتمام بها إثم. ورد في أحد الكتب قول للشيخ عبد القادر الجيلاني- رحمة الله عليه: إني لا آكل الشهي من الطعام ولا ألبس الغالي من الثياب ما لم يرغمني الله على ذلك مستحلفًا بذاته.[30] فمن بلغ هذه الدرجة السامية، لا يقوم بأي عمل إلا لله تعالى، لذلك يقول له الله تعالى: إذا كنت لا تريد القيام بهذا العمل لنفسك فاعمله من أجلي، فيقوم به لمرضاته سبحانه وتعالى.

باختصار، هناك **دركات كثيرة للآثام والسيئات** وتختلف باختلاف حالات الإنسان، ويشير الصوفيون إلى ذلك في قولهم: "حسنات الأبرار سيئات المقربين"[31].

والآن أشرح السيئات بشكل مقتضب.

---

30 قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، تأليف الشيخ محمد بن يحيى التادفي الحنبلي ص ٣٦ مطعبة العثمانية بمصر ١٣٠٣هـ. (الناشر)

31 تشييد المباني في تخريج أحاديث مكتوبات الإمام الرباني، ص٣٤. (المترجم)

أولا: السيئات الذاتية، أي التي تؤثر على نفس الإنسان.

ثانيا: السيئات التي تتعلق بالآخرين، أي أنها لا تؤثر في ذات الإنسان فحسب بل يشمل تأثيرها الآخرين أيضا.

ثالثا: السيئات القومية، أي التي تعتبر سيئاتٍ على المستوى القومي والاجتماعي.

رابعًا: السيئات التي يرتكبها الإنسان بحق الله تعالى.

ومقابل الأنواع الأربعة للسيئات **هناك أنواع أربعة للحسنات** أيضا، وهي:

١- الحسنات الذاتية، أي التي تؤثر على نفس الإنسان.

٢- الحسنات التي تتعلق بالآخرين، أي أنها لا تؤثر في ذات الإنسان فحسب بل يشمل تأثيرها الآخرين أيضا.

٣- الحسنات القومية، أي التي تعتبر حسنات على المستوى القومي والاجتماعي.

٤- الحسنات التي يكتسبها الإنسان تجاه الله تعالى.

والآن أتناول ذكر تلك السيئات التي هي سيئات ذاتية، وأسرد لكم قائمة تلك السيئات البارزة حتى تتولد فيكم قوة على اجتنابها كلما خطرت ببالكم، علمًا أن سواها من السيئات لا يكتشف إلا بإلهام من الله تعالى.

١- التكبر: وهو أن يرى المرء نفسه عظيمًا. فلو ظن أحد في نفسه أنه شخصية كبيرة حتى ولو لم يظهر ذلك للآخرين، فإن ظنه هذا يحول دون تطهيره نفسِه وزكاها.

٢- الخسة والدناءة والانحطاط: وهي التجول في الأسواق والجلوس فيها بلا عمل، وممارسة المهن الخسيسة. إنها أيضا سيئة من سيئات النفس التي تحول دون نيل الرقي ما لم يغير أحد حالته أو مهنته.

٣- التسرع والعجلة: وهي الإقدام على عمل ما بلا تفكير وروية، وهو يضرّ كثيرًا بصاحبه.

٤- سوء الظن: وهو التفكير السيئ عن الآخرين أنهم كذا وكذا، فإنه إثم أيضا ولو لم يبُحْ به أمامهم حتى مماته.

٥- الحب غير الشرعي: إنه سيئة أيضا حتى ولو أضمره في قلبه دون أن يخبر الآخرين.

٦- الحقد: وهو أن يتمنى في قلبه الإضرار بالآخرين ولو لم يفعل ذلك بشكل عملي.

٧- الجبن: من الإثم أن يتولد في قلب الإنسان الجبن سواء أظْهره أم لا.

٨- الحسد: وهو تمني أحدكم زوال النعمة عن الآخرين وحصوله عليها.

٩- قلة الصبر: وهو انهيار الإنسان عند المصائب وعدم تمكنه من أداء الواجب المفروض عليه.

١٠-قصر الهمة والعزيمة: وهو عدم تشجع الإنسان على تحقيق أهداف كبيرة والاقتصار على أهداف صغيرة تافهة. تؤدي هذه السيئة إلى دمارٍ عظيم، وهي ما يسبب كارثةً للملوك والأمراء، لأن قصر همتهم وعزيمتهم ينعكس على رعاياهم أيضا فيصبحون أمثالهم. ما أروع ما قاله سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في بيت شعر بالأردية:

تیرے منہ کی ہی قسم میرے پیارے احمد

تیرے بڑھنے سے قدم آگے بڑھایا ہم نے[٣٢]

ومعناه: بوجهك يا حبيبي أحمد ﷺ ...وبتقدمك قد أحرزنا الأمجد. أي كلما تقدمت أنت تقدمنا نحن أيضا معك. فإن قصرَ الهمة والعزيمة إثمٌ سواء كان في الأمراء أو في عامة الناس.

١١-التملّق: هو كلام يتكلم به البعض لكسب رضى الآخرين. تكثر هذه السيئة في خدم الأمراء.

---

[32] لقد حصل هنا سهوًا الخلط بين بيتين من قصيدة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، إذ أُخِذ الشطر الأول من بيت والثاني من بيت آخر والصحيح كالتالي:

تیرے منہ کی ہی قسم میرے پیارے احمد

تیری خاطر سے یہ سب بار اٹھایا ہم نے

ہم ہوئے خیرِ امم تجھ سے ہی اے خیرِ رسل

تیرے بڑھنے سے قدم آگے بڑھایا ہم نے

ومعناهما:

بوجهك يا حبيبي أحمد ﷺ، لقد تحملت كل هذه الأعباء الثقيلة من أجلك أنت ولقد صرنا خير الأمم باتباعنا لك يا خير الرسل، ولقد خطونا نحو الأمام مع تقدمك أنت. (المترجم)

١٢-نكران الجميل: وهو ألا يكون في القلب أدنى احترام وتقدير للطف الآخرين وأياديهم.

١٣-عدم المثابرة: وهو أن يبدأ المرء عملا ما ثم يتركه قبل إتمامه.

١٤-الكسل: وبسببه لا يقوم المرء بأي عمل من الأعمال.

١٥-الغفلة والإهمال

١٦-إنكار الحق

١٧-فقدان الشجاعة للاعتراف بالحق

١٨-الإفراط في الدلال: وهذا يعني أن يميل إلى الدلال الزائد من لا يليق به ذلك، أو يتدلل لدرجة لا يعود صالحًا للقيام بأي عمل من الأعمال.

١٩-الجهل: أي عدم تلقي العلم.

٢٠-الحرص والجشع: يعتبر الوقوع فيه من السيئة أيضا.

٢١-الرياء: وهو أن يقوم بعمل ما للتباهي وإظهارًا للناس.

٢٢-سوء النية: وهو تمنٍّ للإضرار بالآخرين.

٢٣–قصر الهمة: وهو ترك العمل لدى الشعور بشيء من الصعوبة، وهي سيئة موجودة في الأمراء.

٢٤–حب الشر: من الإثم أيضا ألا يكره المرء الإثم عند رؤيته له.

٢٥–استخدام المسكرات والمخدرات أيضا من السيئة، بما فيها الخمر والأفيون والقات والنشوق والشاي والنرجيله وغيرها.

تُستخدم بعض الأشياء كالأطعمة والأغذية والمشروبات كالشاي مثلا يوميا، فلو اعتادها الإنسان بحيث يضر تركُها بصحته، فلا بد أن استخدامه بهذا الشكل سيئة أيضا، لأنه لو اضطر للذهاب إلى بعض المناطق النائية للتبليغ فيها، فلا بد أن يأخذ معه ما يلزم لصنع الشاي، ولو فعل ذلك وحاول صنع الشاي فسيكون ذلك ثقلاً يعرّضه لمشاكل كثيرة. بما أن الإسلام يريد من كل مسلم أن يكون جنديًا في سبيل الله تعالى، وإذا طُلب منه أن يتوجه إلى منطقة من المناطق فعليه أن يتوجه فورًا، لذلك يمنع الإسلام من مثل هذه العادات التي تحول دون تحقيق هذه المطالب. لقد ذكرت مرارًا أن أحد الأفغان

كان مسافرًا حين انتهى عنده النشوق الذي كان يتعاطاه، فتوجه إلى أحد الأشخاص وأخذ يتوسل إليه في تواضع وإلحاح قائلا: هل عندك شيء من النشوق؟ فلم أتمالك نفسي وقلت: الرجل الأفغاني لا يخضع رقبته لأحد إلا أن الإدمان جعله يخضع رأسه أمام هذا الكشميري.

يأتي ههنا أيضا بعض الناس الذين يتعاطون النرجيله إلا أنهم يحرمون أنفسهم من فوائد كثيرة بسبب هذا الإدمان. كان أحد أقارب المسيح الموعود عليه السلام أشد المعارضين له، فدأب على إضلال الكثيرين الذين يأتون للقائه. فكان هذا الشخص يضع النرجيله ثم يجهز مجلسًا من عدة أسرّة في باحة داره، فإذا كان أحد الوافدين من المدمنين على النرجيله جلس عنده وأصبح عرضةً لمحاولة الإضلال التي يبدأ بها قريبُ المسيح الموعود عليه السلام قائلا: إن لنا قرابة معه، ونعرف أحواله أكثر منكم فلو كان هنالك ما يدعو إلى الإيمان لآمنا به، فكانت محاولته هذه عثرة لبعض الضعفاء. ففي إحدى المرات جاء أحد الأحمديين وجلس عنده ليدخن النرجيله. فأخذ هذا

القريب يُسمعه كلامًا ضد المسيح الموعود عليه السلام، فلما رآه مصغيًا بصمت مطبق بدأ بشتم المسيح الموعود عليه السلام أيضا، إلا أن الأحمدي ظل صامتًا دون أن ينبس ببنت شفة، فسأله في نهاية المطاف ضجرًا: فيم تفكر؟ ولماذا لا تتكلم بشيء؟ فأجاب الأحمدي: ألوم نفسي إذ ألجأني إدماني على تدخين النرجيلة إلى المجيء إليك، فلو لم آت إلى هنا لما اضطررت لسماع ما أكرهه من كلام ضد المسيح الموعود عليه السلام.

وبالمناسبة أذكر ههنا - كما نبهت إليه مرات عديدة أيضا - أن الإدمان على النرجيله عادة قبيحة، كما أن المخدرات الأخرى أيضا بالغة الضرر، فلا بد من الإقلاع عنها. تولِّد بعض المخدرات عادة الكذب عند المدمنين عليها، لا أذكر أسماء هذه المخدرات حتى لا ينتشر سوء الظن عن متعاطيها المعروفين في المجتمع، إلا أنّ الحقّ أنّ بعض المخدّرات تؤثر على الأعصاب تأثيرًا سلبيًا خاصًّا، لذلك يجب على الإنسان أن يجتنب جميع أنواع المخدرات والمسكرات.

لستُ بفضل الله تعالى معتادًا على شيء. ففي فترة طفولتي ظلّوا يعالجونني من مرض بالأفيون لفترة تقارب ستة أشهر، وذات مرة نسوا إعطائي جرعة منه، ومع ذلك لم تكن هناك أدنى ردة فعل مني كما أخبرتني أمي. فلما لاحظ المسيح الموعود عليه السلام هذا الأمر قال: لا تعطوه الأفيون بعد الآن فقد أنقذه الله تعالى من استخدامه. ومع أنني لا أتأذى أبدًا عند امتناعي عن تناول أي شيء داومت على استعماله مدة من الزمن، إلا أني أترك أحيانًا شرب الشاي الذي يستخدم في بيوتنا الآن مع الفطور، وأفعلُ ذلك حتى لا أعتاده. فعلى المؤمن ألا يعتاد شيئا إلى حد الإدمان، لأنه سيئة أيضا.

٢٦-ازدراء الآخرين.

٢٧-العداء القلبي. لو أضمر أحد عداءً في قلبه فإنه أيضا سيئة، حتى ولو لم يظهره طوال حياته.

٢٨-عدم الثقة بالآخرين، وهو الإحجام عن تفويض المهام للآخرين.

٢٩-الطمع، وهو أيضا سيئة تتعلق بالقلب.

٣٠-الحزن الكثير سيئة أيضا. وهو يعني أن يحزن الإنسان كثيرًا لدرجة يضرّ بقدراته العملية.

٣١-الفرح الكثير أيضا سيئة.

٣٢-التدخل فيما لا يعنيه. من السيئة أيضا التدخلُ في أمور لا علاقة للإنسان بها.

٣٣-الهذر، وهو الإفراط في الثرثرة. فإذا كان أحد يثرثر كثيرا فلا بد أن يتكلم بلا تفكير.

٣٤-قسوة القلب، من السيئة أن يكون الإنسان عديم الرحمة.

٣٥-التلذذ بتأذّي الآخرين.

٣٦-الإسراف

٣٧-الانتحار

٣٨-الكذب الذي لا يقصد به الإضرار بأحد. فهناك بعض الناس يمارسون الكذب دون أن يقصدوا منه جني نفع أو فائدة لهم.

وإليكم الآن تلك السيئات التي يتعدى أثرها إلى المخلوقات الأخرى. وهي على نوعين

أولا: التي تتعلق بالبشر

ثانيا: التي تتعلق بالمخلوقات الأخرى من غير البشر.

بعث أحد الإخوة الحاضرين سؤاله الآن:

كيف يمكن الإقلاع عن النرجيلة؟

إن الإقلاع عن الأفيون أصعب من الإقلاع عن النرجيلة. كان أحد الأصدقاء مدمنا على تناول الأفيون منذ سنوات طويلة. فلما أراد الإقلاع عنه قال له الطبيب: سوف تموت إذا تركته الآن، إلا أنه تركه، فلا شك أنه ظل يعاني حالة صعبة لبضعة أيام ولكن تحسنت صحته بعد ذلك. سأذكر لاحقًا بعض الطرق الأخرى للتخلص من المخدرات، أما الآن ما أستطيع قوله بدون الخروج عن الموضوع هو: تشجَّعْ وشُدّ همتك وأقلِعْ عنه وستنجح.

وإليكم الآن تلك السيئات التي لها علاقة بالبشر:

١- سوء الأدب، من السيئة عدم احترام المرء وتقدير مَن يجب عليه احترامه.

٢- الحب غير الشرعي

٣- الجحود، وهو أن تستعين بالآخرين عند حاجتك إليهم وترفض مساعدهم إذا احتاجوا إليك.

٤- الحماقة أو السخافة، وهي أن يكون الإنسان سريع الغضب، ويقوم بإشارات غير لائقة، ويهبّ فورًا لمعاقبة الآخرين. لقد ذكرت مرارًا قصة تاجرَين من قاديان حيث كان أحدهما يكيل للآخر الشتائم، وكان الثاني يقول للأول: سأشجّ رأسك إذا شتمتني مرة أخرى. فلو كان جادًّا في تهديده لشجّ رأسه عند الشتمة الأولى، فلم يكن ثمة داع لمطالبته بالثانية. على أية حال، ظل يردّد قوله: سأشجّ رأسك إذا شتمتني مرة أخرى، والآخر أيضا لم يكن يتلفظ بأية شتيمة إلا أنه كان يكرر قائلا: سوف أشتمك مئة مرة. كنت آنئذ طفلا في الثامنة، ووقفت أنظر إلى هذا المشهد، إلا أن الأول لم يشتم و لم يشج الثاني رأسه، بل قصد كل واحد محلّه بعد قليل دون أن تظهر أية نتيجة لهذا الشجار، ولكن قبل الدخول إلى المحل عاد أحدهما وشتم الآخر، فرد عليه الثاني بقوله: سألقنك درسًا إذا شتمتني مرة أخرى، ثم استمرت هذه التمثيلية على النحو المذكور لبعض الوقت. هذه هي السخافة أو الحماقة والانحطاط وهي علامة الجبن أيضا. كذلك من السخافة الإفراط في

المعاقبة والتذمر والصراخ الشديد عند التعرض للأذى الصغير.

كنت قد منعت الإخوة من أن يطرحوا عليّ الأسئلة أثناء الخطاب، ولكن نظرًا إلى أهمية هذا الموضوع أرى أن أردّ على بعض أسئلتهم، يسأل أحد الإخوة: ما هي المهن المشينة؟ إنه بسؤاله هذا يريد أن يجرني إلى الجدل العقيم الذي لا طائل منه ولا أرغب الدخول فيه، إلا أنني لا أريد أن أمتنع عن الرد على سؤاله أيضا فأقول له: إن المهن التي تعيق تدرج الإنسان من حالته الراهنة إلى حالة أرقى منها لهي مهن مشينة أو رذيلة.

هناك سؤال آخر: هل يُقبل في نظام الوصية المدمنُ على النرجيلة أم لا؟

هذا السؤال معقّد فلا أردّ عليه الآن.

وهناك سؤال آخر: ما الفرق بين الطمع والحرص؟ والرد عليه كما يلي: الطمع أن يتطلع الإنسان إلى غيره ويتوقع منه الحصول على شيء معين. أما الحرص فهو رغبته في الحصول على شيء معين من أي مكان كان.

٥- الشتم، وهو ما يعتبره الناس في كل مكان سيئة. ولكن هناك عادة قبيحة في البنجاب حيث يقول الآباء لأولادهم اشتموا فلانًا فإذا فعلوا أخذوا يضحكون، فكأن جُلّ همهم هو شتم الآخرين، ولقد رأيت ذلك بأم عيني.

٦- لعن الآخرين.

٧- الدعاء على الآخرين، لقد فرّقت بين إلقاء اللعنة والدعاء على الآخرين، وهو أن الدعاء على أحد يتعلق بالحالة الجسدية، أما اللعنة فتتعلق بالروحانية، على سبيل المثال إذا قال أحد لِيَمُتْ فلانٌ، فهو دعاءٌ عليه، أما إذا قال: اللعنة على فلان فيقصد بذلك أن يتنجس قلبه. وأستثني من ذلك تلك اللعنة التي تكون إظهارا للواقع وإنها تكون من قِبل النبي، فلا تكون مثل الدعاء على أحد، بل هي عبارة عن إفصاح أن قلب الملعون قد تنجس.

٨- الخيانة، وهي أن يودِع إليك أحد أمواله فلا تردّها، أو لا تردّها كاملة.

٩- إفشاء السرّ، وهو إذا عثر أحد على سرّ أحد أفشاه بين الناس وكشفه. قد لا يكون إفشاء السر سيئة في بعض الأحيان. مثلاً إذا كان هذا السرّ يؤدي إلى إلحاق ضرر بالآخرين فإطلاعهم على هذا السر ليس عيبًا حتى يتجنبوا الضرر المحدق بهم. مثلا لو علم أحد أن فلانًا يستبطن نية لقتل زيدٍ. فليست سيئة إن أخبر بذلك زيدًا، بل إن إخفاءه يكون سيئة. كذلك فمن علم أن أحدًا يحيك المكائد ضد الحكومة أو يسعى للتشويه بسمعتها أو لإلحاق الأضرار فعليه أن يبلغ المسؤولين في الحكومة.

١٠- النميمة

١١- لقاء الآخرين بفتور ودون بشاشة لأن ذلك يؤثر سلبيًا على قلوب الآخرين، ويؤدي إلى قطع أواصر المحبة.

١٢- المحاباة، مثلاً لو تشاجر اثنان فأيدتَ موقف أحدهما لمجرّد أنه صديقك.

١٣- المخادعة

١٤- البخل

١٥– الظلم

١٦– نكران الجميل، أي أن تنكر منّة أحدٍ فتقول لا منّة له عليّ قط.

١٧– التنجس والتدنس

١٨– الغفلة

١٩– المشاجرة

٢٠– الفساد، وأترك شرحه لأن الناس يعرفون هذه الأمور.

٢١– الصراخ وإثارة الصخب: ويشمل إثارة الصخب والضجة في الأسواق أو رفع الصوت كثيرًا حول أمور تافهة خلال اجتماع الناس. إن التشويش على الناس المنشغلين في أعمالهم عيب كبير. لقد رأيت أهل أوروبا يولون هذا الأمر اهتمامًا كثيرا إذ يسكتون فور سكوت من يجاورونهم حتى لا يزعجوهم بأصواتهم.

٢٢– إيذاء الآخرين

٢٣– الإكراه والجبر

٢٤– قطع الطرق

٢٥– القتل

٢٦– السرقة، كنت أنتظر أن يصلني سؤال عن هذا الأمر فبلغني الآن ويقول أحد الإخوة أن بعض الناس يسرقون أشياء أصدقائهم مداعبةً، وهذه عادة في بعض القرى، إلا أنه عيب وسيئة.

٢٧– الضرب

٢٨– التفاخر الزائف

٢٩– بهتان الآخرين

٣٠– الغيبة

هناك فرق بين الغيبة والنميمة، فالغيبة هي ذكر عيوب الآخر بين الناس بقصد إذلاله وإهانته، أما النميمة فهي نقل كلام أحد إلى غيره بقصد الإفساد والمشاجرة.

٣١– الطعن

٣٢– اتهام الآخرين

٣٣– التحقير وإهانة الآخرين

٣٤– التنابز بالألقاب، وهذا الأمر شائع في بلادنا.

٣٥– الاستهزاء، وهو السخرية بالناس من أجل ذلهم وإهانتهم

٣٦– استفزاز الآخرين بتقطيب الوجه وتعبيسه. تكثر هذه السيئة في الأولاد والنساء خاصة.

٣٧– حياكة المكائد، أي التفكير في إيجاد طرق للإضرار بالآخرين.

٣٨– التعذيب، أي إيذاء الناس بدل قصاص ما صنعوا بطريقة حكيمة.

٣٩– إظهار الغضب

٤٠– شدة الانتقام، يعني الانتقام أكثر من اللازم.

٤١– أخذ الرشوة

٤٢– إعطاء الرشوة

٤٣– أخذ الربا

٤٤– إعطاء الربا

هذه هي السيئات البارزة التي تتعلق بالناس الآخرين.

والآن أذكر تلك السيئات التي تتعلق بالمخلوقات الأخرى غير البشر.

١- أكل الأطعمة الكريهة الرائحة، ولقد قال الرسول ﷺ إن الأطعمة ذات الروائح الكريهة تؤذي الملائكة فلا تأتي إلى آكِلِها.

٢- تربية الكلب في البيت دونما داع له، ولقد قال الرسول ﷺ: لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب[٣٣].

والآن أذكر لكم تلك السيئات التي تتعلق بالحيوانات:

١-ضرب الحيوانات دونما سبب.

٢-إرهاق الحيوان بالعمل، يعتاد الفلاحون ارتكاب هذه السيئة، فإنهم يرهقون الحيوان بالعمل ويظلون يستخدمونه على هذا النحو حتى إذا لم يصلح للعمل وقرب أن يموت باعوه للجزارين. ليس قصدي عدم جواز ذبح مثل هذا الحيوان بل الذي لا يجوز هو

[33] البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة. (الناشر)

استخدامه بشكل لا يبقى صالحًا للعمل جراء الإرهاق والأذى المستمر.

٣-الإقلال من علف الحيوانات والإكثار من استخدامها في العمل. والغريب أن الفلاحين لا يرتكبون هذه السيئة أبدًا، إنما يقع فيها غيرهم. أما الفلاحون فقد لوحظ أنهم يتحملون الجوع بأنفسهم ولا يتأخرون عن تأمين العلف للحيوانات. بل يُعجبني قولهم في أيام القحط حيث لا يقولون: لم يبق لنا شيء للأكل، بل يقولون: لا نجد علفا للحيوانات.

٤-عدم معالجة الحيوان المريض.

٥-تعذيب الحيوانات ووسمها، لقد رأى النبي ﷺ مرة حمارًا في وجهه علامة الكي فنهى عن ذلك لأن الوجه شديد الإحساس، فإذا كان لا بد من الكي فيمكنكم أن تفعلوه على الظهر.[٣٤]

٦-عدم حماية الحيوانات من الطقس الحار أو البارد جدًّا.

[34] سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب النهي عن الوسم في الوجه والضرب في الوجه. (الناشر)

٧-عدم الاهتمام الواجب بالمتطلبات الجنسية للحيوانات. إن الحيوانات تملك قوى كالبشر، منها القوة الجنسية، فلا بد من العمل لإشباع متطلباتها الجنسية أو معالجتها ببعض الطرق المناسبة.

٨-إيلامها بسبب أولادها، وهذا يعني ذبح أولادها أمام عيونها أو تركها جائعة أو تعذيبها بأي طريق آخر.

والآن أذكر النوع الثالث من السيئات وهي التي تؤثر على المجتمع والجماعة أو القوم.

١-إشاعة الفحش، فلو كان أحد ينشر في الناس أن فلانًا كاذب فلا تتعلق هذه السيئة بهذا الشخص فحسب بل تتعلق بالمجتمع والقوم كله، لأنه إذا أُعلن في قوم أن فيهم كاذبين فإن ذلك يقلل من قبح الكذب وشناعته عندهم فتنتشر هذه السيئة فيهم. أرى أن إشاعة الفحش انتحار للقوم.

٢-الأنانية، فلو تصادمت منافع أحد مع المنافع الاجتماعية فراعى حماية مصالحه ومنافعه وتغافل عن المصالح الاجتماعية فإنه يرتكب سيئة اجتماعية أو قومية في هذه الحالة.

٣–الفسق والفجور، كالدعارة أو شرب الخمر علنًا.

٤–التغافل والتكاسل في أداء الواجبات القومية.

٥–إهمال تربية الأولاد.

٦–عدم الاكتراث بتعليم الأولاد، فمن لا ينتبه إلى هذا الأمر فإنه يريد أن يدمر القوم كله لأن أولاد اليوم هم أمة الغد.

٧–النجاسة، وقد ذكرت فيما سبق أيضا في سياق أن الرائحة الكريهة من الناس تؤذي الآخرين، أما هنا فذكرها لأنها تؤدي إلى نشر الأمراض في المجتمع والقوم فتسبب دمارًا لهم.

٨–انعدام الشعور بالمسؤولية، وهو أن لا يشعر الإنسان بمسؤوليته في أداء الواجب المفروض عليه.

٩–عدم التحلي بالقوة اللازمة لمقاومة الشعور بالقصور في أداء المسؤولية التي يؤدي عدم أدائها إلى الخسارة. سواء حصل القصور خطأ أم عمدًا.

١٠– التمرد والعصيان

بعث أحد الإخوة اقتراحه قائلا: يجب على أفراد الجماعة الاحتراز من استخدام الكلمات القاسية والكلام الجارح ضد معارضيها.

وكنت أريد أن أتكلم بهذا الخصوص مسبقًا والآن بهذه المناسبة أقول مختصرًا أن هذا الأخ نبّه خطباء الجماعة ووعاظها إلى عدم استخدام الكلمات القاسية ضد معارضيهم. وإنني أؤكّد الأمر نفسه وأقول: لن تروا مثل هذه الكلمات الجارحة في كتاباتي، أفلا يُحزنني سبّ المعارضين للمسيح الموعود عليه السلام وكلامهم البذيء؟ لا شك أنه يؤلمني إلا أنني لم أرُدّ على الكلام الجارح بالمثل. وهنا يقدم بعض الإخوة مقتبسات من كلام المسيح الموعود عليه السلام، ولكن يجب أن يتذكروا أن المسيح الموعود عليه السلام قد بُعث حَكَمًا، وكان من واجبه أن يطلع الناس على حقيقتهم، أما نحن فلسنا في مقامه. إن الكلام القاسي وشتم الناس يدل على ضعف النفس. يمكن أن يرضى بعض الناس بكلامهم اليوم ولكن عندما يقرأ أولادهم هذه الكتابات غدًا فسيتمنون ألا يكون أبوهم أو جدهم قد فعل ذلك، لأنهم سيقرأونها بقلب

هادئ في معزل عن كتابات المعارضين فلن يحتدّ طبعهم، وبالتالي فسيخفون عن الناس هذه الكتب والجرائد المحتوية على مثل هذه الكلمات القاسية والجارحة.

١١- عدم التحلي بخلق الضيافة، وهي السيئة التي تؤثر على المجتمع.

١٢- الخداع في التجارة أيضا من السيئات التي تؤثر سلبيًا على المجتمع.

ورد في الحديث الشريف أنه بينما كان النبي الكريم ﷺ يعظ بين الناس بدأوا يسألونه واحد تلو الآخر، فلم يعجب ذلك النبي فقال ساخطًا ما معناه: اسألوا ما تريدون، وسأترك الوعظ الآن وأجيب على أسئلتكم عن كل شيء بدءًا من زمننا الحالي وحتى يوم القيامة[٣٥].

وهكذا أقول لكم الآن أنا أيضا، لأن الأسئلة تتوالى عليّ، فهل أترك خطابي وأبدأ بالرد على الأسئلة؟ لم أكمل سوى ٣٥ صفحة من ملاحظات هذا الموضوع الذي أردت بيانه أمامكم ولا تزال ٢٥ صفحة باقية، فلو

---

[35] انظر: مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله... (الناشر)

شرعت بالرد على الأسئلة ما تمكنت من إكمال الموضوع.

فكنت أذكر أن الخداع في التجارة أيضا سيئة اجتماعية لأنه يؤدي إلى القضاء على ثقة القوم. لما سافرت إلى كشمير أجريت تحقيقا في انخفاض نسبة تجارة الفضة والشالات[٣٦]، فاتضح لي أنها كانت تبلغ عشرة ملايين روبية سابقا ولكنها بسبب خداع الناس انخفضت الآن إلى مليون وسبع مئة ألف روبية فقط.

١٣- الاعتراض على المسؤولين في نظام الجماعة عند أناس لا علاقة لهم بالموضوع.

١٤- الإشهار بسيئات القوم دون ذكر اسم أحد، مثلا: يقول أحدهم: نحن خدّاعون جدًّا، فإن هذا التصرف يؤدي إلى تفشي هذه السيئة في القوم كله.

١٥- الامتناع عن تقديم المساعدة من أجل الأهداف القومية والاجتماعية.

---

[36] "الشال" الكشميري - الذي يعرف أيضاً بـــ"البشمين" - رداء من الصوف يتميز بنعومته وخفّة وزنه. (المترجم)

١٦- مصادقة من يهدف إلى الإضرار بالأمة.

١٧- عدم التعاون مع المسؤولين في الحكومة أو الجماعة.

١٨- قلة الطاعة

والآن أذكر لكم تلك السيئات التي يرتكبها الإنسان بحق الله تعالى:

١- حلف اليمين دون سبب. يمكن للإنسان أن يحلف يمينًا أمام الحاكم في قضية هامة تقتضي ذلك، ولكن الحلف دونما داع استخفاف باسم الله تعالى.

٢- اليأس المميت، بحيث يفكر أحد أن مشاكله لن تُحلّ بحال من الأحوال. ولا يتولد مثل هذا اليأس إلا نتيجة إساءة الظن بالله تعالى.

٣- حشو القلب برجس الأفكار. لقد خلق الله تعالى قلب الإنسان ليجعله بيتًا له، لذلك يُدعى القلب بيت الله، ومن يفسد قلبه فكأنه يمنع الله تعالى من دخول هذا البيت.

٤- إنكار أحكام الشريعة.

٥- المعتقدات الباطلة كالشرك وغيره.

٦- إنكار المعتقدات الحقة كإنكار وجود الله تعالى والملائكة والرسل والإلهام والجنة والنار.

٧- مخالفة أحكام الشريعة المتعلقة بالعبادة أو الحياة الاجتماعية، كترك الصلاة والامتناع عن أداء الحج، ورفض العمل بأحكام الميراث، وعدم التقيد بالأخلاق، لأنه إذا كان الله تعالى قد نسب هذه الأحكام كلها إلى نفسه فإن مخالفتها تثير سخط الله تعالى، كما أن عدم المبالاة بهذه الأحكام يسبب أذًى للناس أيضا.

٨- قلة حب الله تعالى.

٩- الإساءة إلى الله تعالى ورسوله.

١٠- بالإضافة إلى ما سلف فكل سيئة يرتكبها الإنسان بحق العباد يُعتبر ارتكابها بحق الله تعالى أيضا، فعدم الشكر مثلا يتعلق بالناس، ويمكن أن يتعلق بالله تعالى أيضا، وما إلى ذلك من أمور أخرى.

والآن أذكر أنواع الحسنات وأبدأ بالحسنات الذاتية.

١- الشجاعة والبسالة

٢- النشاط

٣- التعلم والدراسة

٤- التواضع

٥- الغيرة، وهي أن يكره الإنسان منكرًا إذا رآه حادثًا أمام عينيه.

٦- الشكر

٧- حسن الظن

٨- الإخلاص القلبي

٩- الجدّ، أي شيمة الاجتهاد في العمل

١٠- الحياء

١١- الرحمة، أي الشعور بمعاناة الآخرين ومواساتهم

١٢- المداومة على البر والحسنة

١٣- الوقار والحشمة.. أي عدم تقليد الآخرين في أمور لا جدوى منها. يكثر في بلادنا هذا العيب أنهم يقلدون الإنجليز في كل شيء.

١٤- العزيمة العالية

١٥- الصبر

١٦- حرية الضمير.. أي عدم اتباع الآخرين عشوائيا دونما سبب.

١٧- الشكر من القلب.. أي الشعور بمنة الآخرين وإحسانهم.

١٨- إحقاق الحق.. أي تحري الحق والصدق.

١٩- الاعتراف بميزات الآخرين.

٢٠- الرأفة، الفرق بين الرأفة والرحمة هو أن الرحمة هي رقة القلب عند رؤية مصائب الآخرين والاندفاع لمساعدتهم، أما الرأفة فهي الشعور بأحزان الآخرين وآلامهم.

٢١- قوة الدفاع عن الحق. قد يعفو أحد عن غيره، وهكذا يتخلى عن المطالبة بحقه، وقد يهمله فلا يطالب به كسلاً منه، إلا أنه ينبغي ألا يترك المطالبة بحقه خوفًا من أحدٍ.

٢٢- قوة التسابق في الخيرات

٢٣- عدم الخضوع للهزيمة.. أي يجب أن لا تخضع نفسه للهزيمة، ولو خسر مرات كثيرة. هذا لا يعني أنه يجب ألا يعترف بالهزيمة بلسانه، بل المراد منه ألا يرضى بها بل يسعى جاهدًا لإزالة آثارها.

٢٤- التيقظ التام، أي ألا يغفل عن عدوه.

٢٥- الاعتراف بالحق

٢٦- قوة تحمل المشاق والمصاعب.

٢٧- التعوّد على الجدّ والكدّ، ويعني ذلك أن لا يفقد همّته مهما كثرت أعماله.

٢٨- الشجاعة

٢٩- حب البرّ

٣٠- الرغبة القلبية في مساعدة الآخرين كلما أتيحت له الفرصة.

٣١- بساطة العيش، وهي ألا ينفق كثيرا من أجل التمتع برغد العيش.

٣٢- المحافظة على الشرف والكرامة

٣٣- الاعتراف بميزات الآخرين

٣٤- الأخذ بأوسط الأمور في جميع خطواته.

والآن أذكر لكم حسنات الإنسان التي تتعلق بالآخرين أيضا.

وإليكم أولا الحسنات المتعلقة بالملائكة:

١- الذكر الإلهي، وقد ورد في الروايات أن الملائكة تتكاثر في أماكن ذكر الله تعالى. ويقول النبي ﷺ

إن الملائكة تحيط بالمكان الذي تقام فيه مجالس ذكر الله تعالى.[٣٧]

٢- الطهارة الظاهرية، ولأجل ذلك أُمرنا أن نتطيب قبل التوجه إلى أماكن نزول الملائكة. كما أنه من السنة الغسل واستخدام الرائحة الزكية يوم الجمعة.[٣٨]

والآن أذكر لكم حسنات الإنسان المتعلقة بالناس الآخرين.

١- العدل

٢- الإحسان

٣- الشكر على الإحسان

٤- النظافة والطهارة

٥- الجود والسخاء

٦- الوفاء والإخلاص

٧- الرحمة من خلال الأعمال

٨- الصداقة

٩- الحلم، وهو العفو عن أخطاء أحد في مقابل بعض مزاياه وصفاته. فالعفو هو أن تصفح عن أحد بعد

---

[37] انظر: مسلم، كتاب الذكر، باب فضل مجالس الذكر. (الناشر)

[38] انظر: البخاري، كتاب الجمعة، باب الطيب للجمعة. (الناشر)

اعتباره مذنبًا ومقصرًا، أما الحلم فهو عفو يتم بسبب صفات المخطئ أو أخلاقه.

١٠- الإيثار

١١- الإقراض

١٢- التصدق

١٣- التعاون

١٤- الأمانة

١٥- التصالح

١٦- العفو

١٧- الوفاء بالعهد

١٨- حمل الكلّ

١٩- إكرام الآخرين واحترامهم

٢٠- التوقير، إن الإكرام هو احترام من يماثلك في عمرك ومنصبك، أما التوقير فهو يختص بالكبار.

٢١- الإصلاح بين الناس في خصوماتهم

٢٢- الأخوة

٢٣- حفظ الأسرار

٢٤- البشاشة

والآن أذكر حسنات الإنسان المتعلقة بالحيوانات:

١- الاهتمام بتغذيتها

٢- استخدامها في العمل بحسب قدراتها

٣- الاهتمام بتغذية الحيوانات التي لا تُستخدم في العمل، فلقد قال النبي ﷺ ما معناه: أمطرت السماء لأيام كثيرة فلم تجد الطيور شيئا للأكل فألقى أحد الناس بعض الحبوب لها فشرفه الله تعالى بنعمة الإيمان ودخل الجنة.

ولقد ورد في القرآن الكريم أيضا: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج ٢٥-٢٦) وتشمل كلمة "المحروم" الحيوانات والطيور أيضا، فينبغي إطعامها أيضا.

٤- رعاية الحيوانات في البرد القارس والحر القائظ ومراعاة حاجتها لإشباع الرغبة الشهوانية ورعاية أولادها.

وأتناول الآن ذكر الحسنات التي تعتبر حسنات جماعية.

١- أداء الزكاة

٢- أداء التبرعات للضرورات الجماعية

٣- الضيافة

٤- التطوع للعمل الجماعي

٥- طاعة الحكام

٦- التعاون مع الحكام

٧- حراسة البلد

٨- الشعور بالمسؤولية

٩- قبول العقاب على الخطأ بطيب الخاطر

١٠- نشر حسنات الآخرين بين الناس

١١- تجنب أعداء القوم

١٢- المحافظة على الكرامة القومية، أي الردّ على كل من يسيء إلى القوم.

١٣- الأمانة والصدق في التجارة

١٤- تدريس الآخرين

١٥- تربية الآخرين

والآن أتناول ذكر حسنات المرء التي تتعلق بالله تعالى:

١- السعي من أجل الوصول إلى الإيمان الكامل

٢- الحب الإلهي

٣- الالتزام الكامل بأعمال الشريعة كالعبادات والمعاملات

٤- الرجاء، أي عقد الآمال بالله تعالى فحسب

٥- الخوف، أي مخافة الله وخشيته بسبب عظمته

٦- الطهارة القلبية

٧- التوكل، وهو أن يكون ثمة شعور راسخ - مع بذل قصارى الجهود - بأنه لا يمكن إحراز أي نجاح إلا بنصر الله تعالى.

٨- مراعاة الأخلاق الحسنة المتعلقة بالله تعالى كالوفاء بالعهد وغيره.

٩- رد المعتقدات الباطلة كلها

١٠- إفهام من يسيء إلى الله تعالى - كأن يقول: ماذا أعطاني الله تعالى؟ أو قد ظلمني - وإسداء النصح إليه حتى يجتنب ذلك لأنه يخالف التوقير والأدب مع الله تعالى.

١١- تبليغ الحق

١٢- احترام شعائر الله تعالى.

والآن أجيب على السؤال الثاني وهو: ما هي المواقع والمواطن التي يمكن الالتزام فيها بهذه الأعمال أو تركها؟

هناك إجابتان على هذا السؤال، إجابة إجمالية وأخرى تفصيلية. لو أردت ذكر الإجابة التفصيلية لأخذ مني من خمس عشرة ساعة إلى عشرين على الأقل مهما توخيت الاختصار فيها، لذلك فأقتصر على الإجابة الإجمالية، وأذكر بعض الأمور البارزة فقط.

١- يجب على الإنسان ألا يترك أداء حق الله الواجب عليه إلا إذا اضطر إلى ذلك، أو منَعه من أدائه حكم رباني آخر. ومثال الاضطرار عدمُ استطاعته الوضوء لجرح في يده أو وجهه، أو لأنه ليس له يد أصلا، فأنى له أن يغسلها. أما مثال تعارُض الحُكمَين فهو أن الله تعالى أمر المرأة بالحجاب، ولكنه أمرها أيضا أن ترفع حجابها أثناء حج البيت، فهنا عارضَ الحكم الثاني الأولَ، ومن الحسنة والبر ألا تحتجب المرأة في الكعبة.[٣٩]

---

39 الحجاب أدناه كشف الوجه والكفين، ومنه النقاب وتغطية الوجه. وفي الإحرام ينبغي أن ترفع المرأة نقابها وتكشف وجهها إن كانت منقبة. وهذا ما قصده حضرته. (المترجم)

وإليكم مثال آخر: أمر الله تعالى بطاعة الوالدين، وهذه حسنة بعينها. ولكن لو تعارضت أوامر الوالدين مع ما أمر الله تعالى به فعدم طاعتهما تصبح الحسنة بعينها.

٢- يجب ألا يعامل الآخرين بما لا يرضاه لنفسه في ظروف مماثلة. لا أقول أن يعامل الآخرين معاملة يرضاها لنفسه فحسب، بل أقول: يجب ألا يفعل بالآخرين ما يكرهه لنفسه أيضا في الظروف المشابهة. وعليه فلا يكفي ما يأمر به الإنجيل: عامل الآخرين كما تحب أن تُعامَل.[40]

٣- أن يتجنب الإفراط والتفريط. بعض الناس يتركون صلاة النفل نهائيا وبعضهم يهتمون بها لدرجة يهملون بيوتهم وأهلهم بسببها. لقد رُفعت إلى رسول الله ﷺ شكوى على أحد الصحابة أنه يصوم نهارًا ويصلي

---

[40] لعل النص المشار إليه ما ورد في إنجيل متى: "فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ، لأَنَّ هذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ." (إِنْجِيلُ مَتَّى ٧ : ١٢) (المترجم)

ليلا فدعاه النبي ﷺ وقال: ولنفسك عليك حق، ولأهلك عليك حق[٤١] ويعني ذلك: عليك بأداء حق الزوجة أيضا.

٤- أن يقوم بهذه الأعمال بكل حسن وجمال لدرجة تنعكس فيه صفات الله تعالى.

والآن أتناول السؤال الثالث وهو:

كيف يمكن للإنسان معرفة السيئات التي يتخبط فيها؟

هناك وسائل عدة لمعرفتها، منها:

١- محاسبة النفس، إذا عرف الإنسان ما هي السيئات وما هي الحسنات، فلا بد أن يرى أية سيئة من هذه السيئات توجد فيه وأية حسنة من تلك الحسنات يفقدها.

٢- أن يطلب من صديق حميم له أن يقوم بدراسة نفسه، وذلك لأنه يصعب على الإنسان معرفة عيوبه أحيانا، فيمكنه أن يطلب من صديقه الحميم أن يدرس أعماله الظاهرية فحسب فلا يطالبه بالتجسس على سيئاته والبحث عن الذنوب بل يطلب منه أن يخبره عما

[41] مسند أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. (المترجم)

يلاحظه من نقص أو عيب في أعماله الظاهرية. وهكذا سيخبره صديقه عن بعض عيوبه التي صَعُب عليه معرفتها.

٣- أن يفكر فيما يراه عيبًا في الآخرين ويراجع نفسه إذا كانت تلك العيوب موجودة فيه أم لا.

٤- وأكثر من كل ذلك يجب أن يفكر فيما يتهم به أعداءه من عيوب، ثم يرى ما إذا كانت تلك العيوب موجودة فيه أم لا. وهكذا سوف يتعرف على كثير من عيوبه. كما ينبغي أن يأخذ بالحسبان تلك الحسنات التي يراها في عدوِّه ويعترف بها، لأنه في كثير من الأحيان يضطر العدو للاعتراف بمزايا خصمه.

٥- ثم هناك وسيلة هامة ومثلى لمعرفة الحسنات والسيئات الموجودة في نفس الإنسان وهي أنه كلما مرّ أثناء تلاوته القرآن الكريم بعيوب الأقوام السابقة وذنوبها فكر ما إذا كانت هي موجودة في نفسه أم لا. وهذه الوسيلة مفيدة من ناحية أخرى أيضا أنه لا يمكن أن تنكشف للإنسان الحسنات والسيئات كلها مرة واحدة، ولكن بهذه الطريقة سوف تنكشف له رويدًا رويدًا أثناء

تلاوته القرآن الكريم يوميًا. ولما كانت تلاوة القرآن تبعث الإنسان على خشية الله تعالى فستساعده على تجنب السيئات والعمل بالحسنات.

علاجُ مَن لا يتمكنون من ترك سيئاتهم على علمهم بها

لقد تحدثنا عن أولئك الذين لم يعلُ قلوبهم صدأ روحاني بعدُ مع ممارستهم السيئات والموبقات. ولكن بعض الناس لا يتمكنون من ترك سيئاتهم مع علمهم بها، على سبيل المثال: يعلمون أن ترك الصلاة معصية ولكنهم لا يصلون، ويعرفون أن قتل النفس إثم عظيم إلا أنهم لا يتخلون عنه، فما علاج ذلك؟

هناك ردّ تفصيلي على هذا التساؤل ولكن لا يسعني ذكر ذلك ههنا ولا يمكن أن يذكر في كتاب صغير. لذلك أكتفي بذكر بعض النقاط المهمة بكل اختصار.

١- يجب أن يدرك مثل هذا الإنسان أن قلبه قد صدئ، وهناك مانع يمنعه من كسب الحسنات ومن اجتناب السيئات، وهو نتيجة أعماله السيئة السابقة.

فعلاجه أن يستغفر الله تعالى كثيرا ويتوب من جميع ذنوبه السابقة.

يجب ألا يغيبن عن البال أن الاستغفار يعني ستر الشيء، وهو على نوعين: الأول: يستغفر الإنسان بمعنى أنه يريد أن يغفر الله تعالى ذنوبه ويمحوها أو يخلصه من الآثام التي يتعرض لارتكابها، أما الثاني: فيريد الإنسان باستغفاره الله تعالى أن لا يتولد فيه القابلية لارتكاب الإثم ولا يقع في ارتكابه. وكلما ورد ذكر الاستغفار عن الأنبياء كان هذا هو المعنى المراد أن لا ينشأ لديهم أي ذنب.

٢- والطريق الثاني هو أن يولِّد في نفسه المعرفة الحقيقية، وتعني المعرفة أن يفكر في الصفات الإلهية ويتعمق فيها ويسعى جاهدًا للاتصاف بها. على سبيل المثال يجب أن يفكر في رحمانية الله تعالى فيتذكر منن الله تعالى وأياديه عليه ثم يتذكر أنه إذا أمر الله تعالى ببذل الأموال على الآخرين فلماذا يقصّر في هذا المضمار، وهكذا يوفق لتجنب السيئات والعمل بالحسنات من خلال تفكيره في صفات الله تعالى.

٣- يجب أن يفكر في الحسنات وعاقبتها الحسنى وفي السيئات وعاقبتها السيئة، أي يتدبر فيها على هذا النحو أن فلانا عمل بالحسنة فاستفاد بكذا وفلانًا ارتكب سيئة فتضرر بكذا، وهذا الأمر أيضا سيزيد من معرفته.

٤- بعد العمل بالأمور الثلاثة المذكورة يجب أن يُقدم على الأمر الرابع وهو التوبة. التوبة تعني:

أ- الندم على الخطيئات السابقة، ويجب أن تتولد هذه الحالة في قلبه.

ب- يجب أن يقوم بأداء تلك الفروض التي لم يتمكن من أدائها، مثلا إذا كان الحج فرضًا ولم يحج فليحج الآن، أما الصلاة فهي فريضة لا يمكن أداؤها بعد مرور زمن طويل على تركها، بل في هذه الحالة يجب الإكثار من الاستغفار.

ج- يجب أن يستغفر لذنوبه وأن يعتذر إلى كل مَن يتذكر أنه ارتكب إثما في حقه، ما عدا الذنوب التي سترها الله تعالى.

د- يجب أن يفيد من أضرّ بهم سابقًا، أي يحسن إليهم.

هـ- يجب أن يعاهد على عدم ارتكاب الإثم.

و- يرغّب نفسه في البر والحسنة.

هذه هي شروط التوبة، فإذا التزم بها صارت توبته توبة حقيقية ومقبولة.

يجب على الإنسان أن يحدث في نفسه حالة: "تخلقوا بأخلاق الله"[42] يجب أن يقوم بالأعمال الصالحة كفرض واجب عليه ولا يمنعه من ذلك عدم نشوء الإخلاص في قلبه، مثلا: إذا كان يشعر بالضيق والحرج عند التصدق، أو إذا كان تركيزه في الصلاة لا يستقيم فعليه أن يكررها مرة بعد أخرى. يجب أن يتذكر أن واجب الإنسان هو السعي المتواصل والدؤوب وعدم فقده العزيمة ومواصلة طريقه دون كلل أو تعب.

حكيت لكم مرارا أن المسيح الموعود عليه السلام كان يقول: جاء أحد المريدين لزيارة مرشده وأقام عنده بضعة أيام، فلما جنّ الليل قام مرشده يردد الدعاء لأمر ما فتلقى إلهاما أن دعاءه هذا لن يحظى بالقبول. وأراد الله تعالى أن يُسمع المريد هذا الإلهام أيضا فاندهش لدى سماعه وقال في نفسه أتيت إليه لأطلب منه الدعاء لي

[42] تفسير الرازي، تفسير سورة البقرة آية ٢٧٠. (المترجم)

إلا أنه يتلقى من الله تعالى ردًّا أنه لن يستجاب له. على أية حال التزم المريد الصمت بدافع الخجل والاحترام. وفي الليلة التالية نهض مرشده وظل يردد الدعاء نفسه طوال الليل إلا أنه في النهاية تلقى الإلهام نفسه بأن دعاءه لن يستجاب، فازدادت حيرة المريد. وفي الليلة الثالثة تكرر الحدث نفسه، فلم يتمالك المريد نفسه، فقال لهذا الولي: إنك تدعو بدعاء منذ ثلاثة أيام، وتتلقى إلهامًا أنه لن يستجاب لك، فلماذا تعود كل مرة وتردد الدعاء نفسه وتسأله مرة بعد أخرى؟ فقال الولي: إنك تعبت في ليلتين أو ثلاثة؟ أما أنا فأردد هذا الدعاء منذ عشرين عاما وأتلقى في كل مرة الجواب نفسه إلا أنني لم أتعب ولا زلت مستمرًّا في دعائي هذا.. ولم تسمع هذا الرد إلا لثلاث ليال فحسب ثم جئت لتنصحني بتركه؟ إن عملي هو أن أسأل الله، وإن عمل الله تعالى أن يقبل أو يرفض. فأنا أقوم بعملي، والله يعمل عمله.

ورد في هذه الرواية أنه ما إن تفوه بهذا الكلام حتى تلقى إلهامًا من الله تعالى أنه قد استجيب له كل ما دعا به خلال تلك الفترة كلها.

فعلى الإنسان أن يقوم بواجبه ويعمل عملَه، إن لم يستقم تركيزه في الصلاة فقد لا يكون ذلك بوسعه، ولكن واجبه في هذه

الحالة هو أن لا يترك الصلاة وأن لا يمتنع عن أدائها. إذا عمل الإنسان صالحا في الظاهر فلا بد أن يؤثر ذلك على باطنه في أحيان كثيرة ويؤدي إلى طهارته الباطنية. ولكن إن لم ينجح الإنسان بهذه الطريقة أيضا، فعقد العزم مرارا ويخور عند كل مرة، ويحاول القيام فيسقط مرة بعد أخرى، ثم يجمع قواه ويحاول النهوض إلا أنه لا يلقى إلا الفشل والهزيمة، فيجب أن يفهم أن قلبه قد صدئ كثيرًا جدًّا وهو بحاجة إلى معالجة مركزة لإزالته، لأن نفسه قد غلبته، وقد صار مغلوبًا، وانمحى الشعور بعزة النفس — وقد أشير إليها في قصيدتي التي أُنشدتْ هنا البارحة - فصار مثل ذلك الحيوان الذي يمسك الإنسانُ بخطامه فيقوده حيثما شاء، وهكذا تأخذه نفسه من خطامه ثم تسير به حيثما شاءت.

أذكر لكم العلاج الأصولي لهذه الحالة بصورة إجمالية ثم أورد علاجًا تفصيليًا لها. ولكن قبل التطرق إليه أود أن أبين **الفرق بين فلسفة الأخلاق السابقة وبين فلسفة الأخلاق من وجهة نظر الأحمدية.**

يُعتبَر ابن مردويه مؤسس فلسفة الأخلاق في المسلمين وقد ألف كتابًا في هذا الموضوع، ثم يُعدُّ ابن عربي أيضًا أستاذا كبيرًا في هذا المجال، ثم جاء الإمام الغزالي الذي ألف في الأخلاق كتابًا في

أربعة مجلدات. ولكن لم يُؤلَّف بعد ذلك أيٌّ كتابٍ في هذا الموضوع وظن الناس أن فلسفة الأخلاق قد اكتملت الآن. لأجل ذلك لا بد أن ألقي ضوءًا على هذه الأمور حتى تنكشف أخطاء هذه الكتب على من يقرأونها، لا شك أن تلك الأمور كانت مقبولة في وقتها إلا أنها تحتوي على أخطاء.

الفرق بين فلسفة الإمام الغزالي والفلسفة الأحمدية هو أن الإمام الغزالي قد ركز كثيرا على الصفات السلبية، أما فلسفة الأخلاق التي أقامها المسيح الموعود عليه السلام فقد أحدث فيها تغييرًا كبيرًا، لأنه عليه السلام ركّز على الصفات الإيجابية.. أي أن المسيح الموعود عليه السلام قال: ليست الأخلاق ألا يكون كذا وكذا، بل الأخلاق هي أن يكون كذا وكذا.

لا شك أن إفناء النفس علاج أيضا ولكنه ليس هو العلاج كله بل هو أحد المعالجات. لا يسعنا التغافل عن الأمور التالية أثناء دراستنا لفلسفة الأخلاق:

أولا: يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٧) أي لقد خلقنا الإنسان للعبادة فحسب. ثم قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود

١٠٩).. أي خلقنا الإنسان ليتمتع بالنعم الخالدة. مما يوضح أن الله تعالى قد خلق الإنسان ليقوم ببعض الأعمال، و لم يخلقه ليمتنع عن بعض الأمور والأفعال. فلم يقل الله تعالى "خلقت الإنسان حتى لا يعمل كذا"، بل قال: خلقتُه ليعبد. إذًا قد خُلقْنا لكي نقوم ببعض الأعمال لا لنكفّ عنها. ليس النفي بذاته هو المطلوب، إنما يكون النفي للوقاية، أي التخلي عما يعيق تحقيق الهدف. فلو كان الغرض من خلق الإنسان هو أن يكفّ ويمتنع من الأفعال لكان هذا الغرض محققًا بصورة أفضل إذا لم يخلقه الله أساسًا. وهذا يشابه تعريفًا وضعه الهندوس لإلههم حيث يقولون: إنه ليس هذا ولا ذاك.

لم يخلق الله تعالى الإنسان للنفي بل خلقه للإثبات، مع مراعاة النفي من أجل التجنب وتوخي الحذر. فمحور الحديث هو ما ينبغي على الإنسان أن يكون ويصبح، وليس المحور ألا يكون أو لا يصبح كذا.

والأمر الثاني الذي لا يسعنا إغفاله هو أن النفس الإنسانية تشبه الحصان. لا شك أن على الإنسان أن يروّض حصانه ضمن حدود معقولة ليمارس رياضته ولا يدعَه يسمن كثيرًا فيصبح جامحًا صعب المراس ويُسقط الراكب عنه دونما سبب. ولكن هل رأيتم أحدًا

تعلّم الفروسية بمجرد تجويعه حصانَه؟ في أحد أسفاري قال أحد الإخوة الذي لم يكن يعرف ركوب الخيل: لن أركب هذا الحصان، وإذا أردتم أن أركب فلتأتوا بحصان ضامرٍ نوعًا ما. فلما جيء بمطلبه خاف وقال أليس لديكم أنحف وأقصر منه أيضا؟ فمن لا يعرف ركوب الخيل فلن يتعلمه بتجويع حصانه، لذلك فمن الوهم والظن الباطل أنه يمكن السيطرة على النفس وتسييرها وفق إرادة الإنسان من خلال إضراعها وتنحيفها، كلا، بل لا بد أن يتعلم الإنسان فن السيطرة عليها.

والأمر الثالث الذي لا يسعنا التغافل عنه هو أن الإثم لا ينشأ من الوقوع تحت سيطرة النفس فحسب، بل يتولد عند موت النفس أيضا، مثلا ينشأ المجون جراء موت النفس. وفي هذه الحالة لا بد من تقوية النفس حتى تعمل عملها.

خلاصة القول، كما أن إضراع الحصان أو تسمينه ضروري أحيانًا من أجل استخدامه في أعمال مختلفة كذلك الحال بالنسبة إلى نفس الإنسان فلا ينبغي إماتتها كاملا ولا يحبّذ أن يشتد جماحها لدرجة لا تطيع أمرا.

وهناك فرق آخر بين فلسفة الأخلاق للإمام الغزالي رحمه الله وفلسفة الأخلاق للمسيح الموعود عليه السلام، وهو أنه عليه السلام علّمنا أن

الإيمان يُبنى على الرجاء والأمل، فلقد ورد في القرآن الكريم أن الإيمان يتأرجح بين الخوف والطمع، ولم يرد فيه أنه بين الرجاء واليأس. بل ورد فيه عن اليأس: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(يوسف ٨٨) أي: لا ييأس المؤمن بل الكافر هو من يتعرض لليأس. فإن فلسفة الإيمان مبنية على الرجاء، ولقد ورد في الحديث النبوي الشريف أن الله تعالى يعامل العبد بحسب ظنّه بالله ﷻ[43]. فليس من الإسلام في شيء كل ما يؤدي إلى نشوء اليأس والقنوط. أما الخوف فينبغي أن يكون أقل من الطمع، لا شك أن الخوف أيضا جزء من الإيمان، إلا أنه ينبغي أن يكون أقل من الطمع. يقول الله تعالى: ﴿رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف ١٥٧) أي إن صفتِي الرحمة أوسع من صفة الغضب، مما يوضح لنا أن حالة الطمع تكون في قلب الإنسان أشد وأقوى من الخوف.

يكون قلب المؤمن عامرًا بالرجاء، لا شك أنه يخاف ويخشى أيضا إلا أن الخوف فيه يكون أقل من الرجاء، فإنه يكون واثقًا من أن الله تعالى لن يعامله بطريقة تؤدي إلى تدميره. فإذا درسنا خوف

---

[43] البخاري، كتاب التوحيد، باب يحذركم الله نفسه. (الناشر)

المؤمن ورجاءه عرفنا أن خوفه ليس نابعًا من سوء ظنه بالله تعالى بل هو راجع إلى ضعف نفسه، أما رجاؤه فهو مرتبط بفضل الله تعالى. أليس حقًّا أن ضعفنا لا يساوي شيئا مقابل فضل الله تعالى؟ وعليه فإذا كان خوف المؤمن نابعًا من استغناء الله تعالى فإن رحمته تعالى غلبت صفة استغنائه أيضا، أما إذا كان سببه عائدًا إلى ضعف نفسه فإن قوة الله وقدراته غالبة على ضعفنا، وهكذا فإن جانب الرجاء هو الغالب في النهاية لأن دوافعه أقوى بكثير من دوافع الخوف.

ولكن يجدر بالذكر أن هذا الرجاء يخص العبد المطيع دون المتمرد العاصي. فلا يمكن لأحد القول بأنه سيفعل ما يريد ثم يرجو رحمة الله تعالى وينالها حتمًا، هذا تمرد، ولا رجاء للمتمرد، فإن الطمع والرجاء للمطيع فقط.

والأمر الثاني الجدير بالذكر هو أن المؤمن لا يخاف من قدرته على إتمام عمل ما، ولا يخاف من العقاب إن لم يقم بكذا، إنما يخاف من ألا يؤدي به السبيل التي يسلكها إلى الهدف المنشود. وليس خوفه نابعا من أن الله تعالى سيعاقبه إن لم يفعل كذا، بل يخاف من فشله في اجتذاب رحمة الله تعالى فيبقى محروما.

خلاصة القول، إن التصوف الإسلامي الصحيح يُبنى على الطمع والخوف، وجانب الطمع أقوى وأرجح من الخوف، والحق أن جميع القوى الإيجابية تتولد من الرجاء والطمع، أما الخوف فيولّد القوى السلبية. ولما كان الهدف الحقيقي للإنسان هو أن تتولد في قلبه محبة الله تعالى، فلا يتأتى إلا بالطمع والرجاء، أما الخوف فيساعد على التخلي عن السيئات.

لاحظوا الآن إلى أي مدى سعى النبي ﷺ لإزالة الخوف من أفراد أمته، فأولا قد اتضح مما ورد في القرآن الكريم: ﴿رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أن رحمة الله تعالى أكبر من أي شيء آخر، ولكن رسول الله ﷺ قد وضح الأمر أكثر فقال: "الرُّؤْيَا الصَّادقةُ مِنَ اللهِ وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ."[٤٤] وهكذا بين أنه لا داعي للخوف من الرؤى المنذرة لأنها من الشيطان. وبما أن الأنبياء أيضا يرون رؤى منذرة فهذا يعني أن الرؤى المنذرة ليست جميعها من الشيطان، بل المراد من قولنا هو أنه لو رأى أحد رؤى منذرة فحسب ولا يرى رؤى مبشرة أبدًا أو يراها نادرًا فيجب اعتبار الرؤى المنذرة من الشيطان. وهكذا فقد أزال النبي ﷺ الخوف من

[44] البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله. (الناشر)

قلوب المؤمنين، لأن الرؤى تؤثر على القلوب بشكل خاص. ولكن الذي يرى الرؤى الشيطانية دوما قد يرى رؤيا صادقة أيضا، فكان ثمة احتمال أن يعتبرها أيضا شيطانية فيتضرر بها، لذلك فقد علمنا النبي ﷺ علاج ذلك فقال: "فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلُمًا يَخَافُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ." (صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق)

وهنا قد ذكر النبي ﷺ نقطة عجيبة، وهي أن الناس يبصقون عادة على بعض الأشياء تعبيرًا عن عدم مبالاتهم بها. فلقد شجّع النبي ﷺ المؤمنين أنهم إذا رأوا رؤى شيطانية فليبصقوا للتعبير عن أنهم لا يولونها أية أهمية، وهكذا فقد أراد النبي ﷺ أن يخلق في المؤمنين رجاءً وشجاعة.

والعلاج الثاني هو أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وذلك لأنه ذكرت سابقا أنه قد تكون بعض هذه الرؤى صادقة أيضا، فلو قرأ الحوقلة حقق بذلك الاستغفار في حضرة الله وأحرز درجة في التوكل عليه أيضا. خلاصة القول، ينجو من أضرار الحُلم الشيطاني من خلال بصاقه أي عدم اكتراثه بالشيطان وأفعاله، كما سيعصم من الإنذار الإلهي بقراءته الحوقلة، لأن من يرتمي أمام الله تعالى يعصم من العقوبة. فمن قام بهذين العلاجين

نجا من مخاوف قلبه. لاحظوا، ما ألطف وأروع هذا الأسلوب الذي أزال به النبي ﷺ الخوف عن أمته!

بعد بيان الفرق بين فلسفة الأخلاق للإمام الغزالي وبين فلسفة الأخلاق لدى الأحمدية أذكر لكم العلاج المناسب لمثل هذا المريض الروحاني الذي لا يقوى على عمل يمكّنه من القيام على رجليه روحانيًا. وقبل ذكر هذه الأمور أردّ على شبهة قد تنشأ ههنا وهي: ما الفائدة من تذكير أحد ببعض الأعمال في حين أنه لا يقوى على أي عمل أصلا؟ فما النفع من حثه على عمل آخر في هذه الحالة؟ والرد على ذلك كما يلي:

١- مادام الإنسان يستطيع القيام بعمل من الأعمال فلا يسعه نيل الطهارة والعفة بدونه. أما إذا استحال عليه القيام بأي عمل فقد ينالها بدونه، على سبيل المثال لو جُنّ أحد فلا بدّ أن يستصعب القيام بأي عمل، فقد قال عنه النبي ﷺ أنه يعطى فرصة العمل مرة أخرى[٤٥].

---

[45] لعل حضرته رضي الله عنه يشير إلى ما روي عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ. فَأَمَّا الأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرَمُ

يجدر بالذكر هنا أن الأعمال على نوعين؛ أحدهما: ما يستطيع جميع الناس القيام به. وثانيهما: ما يتعلق بالعواطف والمشاعر وهو ما يستحيل القيام به في بعض الحالات القلبية، أما الأعمال المتعلقة بالظاهر فلا تستحيل مطلقًا في جميع الظروف والأحوال؛ مثلا لا يسع أحد القول بأنه لا يستطيع أداء الصلاة، ولكن قد يقول إنه لا

فَيَقُولُ: رَبِّي لَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ. فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ. قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلامًا. قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيٌّ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مِثْلَ هَذَا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِهِ: فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا". (مسند أحمد، مسند المدنيين، حديث الأسود بن سريع ﵁) (المترجم)

وما روي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤتى يوم القيامة بأربعة: بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة والشيخ الهرم الفاني، كلهم يتكلم بحجته، فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من جهنم: أَبْرِزي ويقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسولُ نفسي إليكم فيقول لهم: ادخلوا هذه. فيقول مَن كتب عليه الشقاء: يا رب أتدخلناها ومنها كنا نفر؟ وأما مَن كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها. فيقول الرب تعالى: قد عاينتموني فعصيتموني، فأنتم لرسلي أشدُّ تكذيبًا ومعصية. فيدخل هؤلاء الجنةَ وهؤلاء النارَ." (روح المعاني تفسير قوله تعالى "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا"). (المترجم)

يستطيع التخلي عن الحب الحرام. فالأعمال على نوعين: أحدهما يتعلق بالمشاعر والعواطف، والثاني لا يتعلق بها.

كيف تُعالج العوارض الجسمانية؟ إنما يكون بمراجعة الأطباء. المريض يعاني من الضعف، ولا يقوى على شيء، مع ذلك يُنصح من قبل الطبيب أن يمارس الرياضة الخفيفة. فهل يمكنه أن يقول للطبيب بأنني لا أستطيع القيام بأي عمل فكيف تنصحني بممارسة الرياضة؟ المريض لا يردّ على الطبيب بمثل هذا الردّ لأنه يعرف الفرق بين نصح الطبيب وبين قول شخص عادي، فما ينصح به الطبيب لهو عملٌ أيضا إلا أنه يكون في استطاعته، أما ما يقول له غيره فقد يكون فوق مقدرته. فلا بد من القيام بالعمل لكسب القوة والطاقة. إن المريض الذي يلازم فراشه ويبلغ من الضعف بحيث لا يقوى على النهوض ينصحه الطبيب بالتدليك، فينهض ويجلس إذا تقوت عضلاته ثم إذا كسب قوة أكثر فيقوم على رجليه. والأسلوب نفسه متَّبَعٌ في الأعمال الروحانية أيضا حيث يُبدأ بالأعمال الصغيرة ثم تتدرّج رويدًا رويدًا. إذا وجد أحد الطلاب صعوبة في قراءة كتاب الصف العاشر فسينصح بقراءة كتاب الصف التاسع، فلا يسعه القول: كيف لي قراءة كتاب الصف التاسع ما دمت لا أستطيع قراءة كتاب الصف العاشر.

وكذلك في المجال الروحاني يُحرز التقدم من أدنى مستويات العمل إلى أعلاها.

بالإضافة إلى أنواع العلاج المذكورة فهناك أمور أخرى ضرورية لمثل هذا الشخص المريض روحانيًا، وسأذكرها لاحقًا أما الآن فسأذكر أنواع العلاج التي ذكرت سابقا:

١. اكتساب معرفة دقيقة للسيئة والحسنة والفضيلة والرذيلة.

٢. معرفة المحل المناسب لصدورها.

٣. محاسبة النفس.

٤. الإكثار من الاستغفار.

٥. السعي لاكتساب المعرفة الإلهية. لقد قلت فيما سبق أن يكسب الإنسان المعرفة الإلهية ولكن الآن أقول أن يسعى لكسب المعرفة بالله تعالى، لأن الشخص الأخير الذي ذكرناه لا يتحلى بالقوة الكافية للعمل.

٦. يستعرض عواقب الخير والشر.

٧. يسعى للعمل بـــ"تخلقوا بأخلاق الله".

وسأذكر الآن العلاج الجذري. لا شك أن لدى مثل هذا الإنسان مرض، ولا يمكن معالجة المرض دون تشخيصه، فلا بد

أن يعرف أولا ما هو مرضه. فيجب أن يتساءل أنه لأي شيء يسعى؟

فالرد الأول الذي يلقاه هو: عليه أن يسعى من أجل طهارة القلب.

والثاني: يسعى لإصلاح الأعمال.

فالأمر الأول يتعلق بحب الله تعالى، وضعف القلب يدل على فقدان عنصر المحبة الصحيحة.

لقد ذكرت مرات كثيرة رؤياي التي رأيت فيها السيد المسيح طفلاً واقفًا على مصطبة وهو يرنو إلى السماء رافعًا يديه. وبعد قليل رأيت السيدة مريم نازلة من السماء، فنــزلت على قاعدة أعلى نسبيا ووقفت، ثم نزلت درجة وفي الوقت نفسه تخطّى السيد المسيح درجة نحو الأعلى ثم انحنى إليها وهي أحنت عليه، وعندها جرت على لساني الكلمات التالية: Love creats love .. أي أن الحب يخلق الحب.

فلا شك أن الحب يخلق الحب، ولكن لا بد أن تكون هناك دوافع للحب، وهي التالية:

١- الحُسن

٢- الإحسان

ولكن لو أن أحدًا قد رأى حسن الله تعالى، أي تدبر أحد في صفاته، ورأى إحسانه ومننه أيضا، ثم فكر في علاقته مع الله تعالى أيضا، ولم يتولد مع ذلك في قلبه حبه لكانت حالته تشبه حالة الولد الذي لا يحب أمه وكأنه قُضي على مادة الحب فيه. فلو أن أحدًا لا يصل إلى جوفه أي غذاء ولا يشرب دواء فهذا يدل على أن معدته ليست على ما يرام، فأولا يجب تقوية معدته. أما في المجال الروحاني فلا بد من إحياء مشاعره وإحساساته. وبما أن لظاهر الإنسان أثرًا على باطنه فأول علاج لمثل هذا الإنسان هو أن يحاول التقيد بالخشوع والخضوع ولو في الظاهر فقط، وإذا صلى الصلاة تكلف البكاء، لأنه من الثابت علميًا أن لبعض الأمور الظاهرة أثرًا على الباطن ولو تصنع بها صاحبها. قرأت كتابًا ألفه أحد الأمريكيين ورد فيه: كان أحد الأساتذة طالبًا ناجحًا أثناء المرحلة الدراسية، ولكنه لمّا عُيّن عميدًا لإحدى الكليات بعد إكمال دراسته بدا فاشلا في إدارة الأمور، فسأل أحدَ الخبراء في علم النفس عن سبب ذلك، فقال له: إنك لين القلب جدًّا فلا تستطيع المحافظة على نظام الكلية وإدارته. فلما سأله عن علاج هذه الحالة قال: يجب أن تبقى ضاغطًا على أسنانك ومطبقًا فكّيك، أي يجب أن تكون

مقطّبًا ومقلصًا عضلات وجهك حتى تظهر في مظهر شخص غاضب جدًّا، ففعل، وبعد فترة قصيرة حصل تغيّر مفاجئ إذ اشتهر عنه أنه أشد عمداءِ البلد، وبذلك تمكّنَ من إدارة الأمور وأجاد.

فلا بد أن ظاهر الإنسان يؤثر في باطنه، فلو تبختر الجبان في مشيته تحلى بالشجاعة والبسالة، ولأجل ذلك يطلب من جنود المعسكر أثناء تلقيهم التدريب العسكري أن يمشوا رافعين أعناقهم مبرزين صدورهم للأمام، مما يولد فيهم الشجاعة.

١- فإن العلاج الأول هو أن يتصنّع التحلي بصفةٍ معاكسةٍ للعيب الذي فيه، ونتيجة لذلك تتولد فيه تلك الصفة حقيقةً فيتخلص من العيب. وعليه فمن أجل خلق مادة الحب في نفسه لا بد أن يبديَ آثار الحب ظاهرًا، مثلا إذا صافحه أحد فيشدّ على يده ويصافحه بكل حرارة. وإذا جلس معه أحد برهة ثم نهض للمغادرة فيصرّ على بقائه وقتا أطول حتى ولو كان لا يريد ذلك من قلبه. وهكذا إذا أظهر آثار المحبة ولو تصنّعًا فلا بد أن تتولد فيه دوافع المحبة الحقيقية رويدًا رويدًا، وفي النهاية

سيبدأ بإنشاء علاقة الحب مع الله تعالى أيضا لأن سبب عدم حبه لله تعالى يرجع إلى انعدام مادة الحب فيه.

٢- والعلاج الثاني هو أن يكثر من حبه للوالدين والأهل والأولاد وهو ما يقال لدى الصوفية بالعشق المجازي؛ وهو أن يحب الإنسان حبًّا جمًّا مَن يجوز له محبتهم. ولكن الناس شوهوا هذه الفكرة فاخترعوا أمورًا وأحاديث مغايرة للحقيقة. لا يعنى العشق المجازي أن يختار أحد شابًّا وسيمًا ثم يحبّه أو يقع في حبّ أحد آخر بطريق غير شرعي. بل المراد منه أن يزداد حبًّا بالأقارب الذين أجاز له الله تعالى حبهم، مما يولد في نفسه دوافع المحبة ويؤدي به إلى أن يزداد حبًّا لله تعالى.

الأمر الثاني الذي يسعى له الإنسان من أجل إصلاح حالته الروحانية هو إصلاح أعماله. فاعلموا أن إنجاز كل عمل منوط بقوة الإرادة - وهي إرادة الإنسان للقيام بعمل ما ثم إنجازه - ولكن من يردد بأنه سيفعل كذا وكذا ولا يستطيع القيام به فإن حالته المزرية هذه تشير إلى:

١- أنه ليس له أي تحكم في إرادته، وضعفت فيه "الأنا" فلم تعد له سيطرة على إرادته. إن "الأنا" بمنزلة

السلطان، أما الإرادة فبمنـــزلة الحاجب، فإذا ضعف السلطان فلا يسعه أن يطلب من حاجبه أن يعمل كذا بل يخافه، مما يجعل الحاجب يتكاسل في إتمام أوامر السلطان.

٢- أو أن "الأنا" قوية فيه ولكن الحاجب مريض، وهذا يعني أن قوة الإرادة ضعفت فلم تعد لها سيطرة على العواطف والمشاعر التي تعمل كالموظف عند الحاجب. فلما ضعف الحاجب تكاسل الموظفون الذين يعملون تحته فلا يخضعون لأوامره. وهكذا ضعفت العلاقة بين "الأنا" والمشاعر والأحاسيس والعواطف.

٣- وإن لم يكن الأمر كذلك فلا بد أن شيئًا ما يحول بين الإرادة والإحساس مما يفصل بينهما أو يضع حاجزًا بينهما بحيث لا تصل الأوامر إلى الإحساس على قدرة الإرادة على إصدار الأوامر واستعداد الإحساس لقبولها، ولكن وقع انقطاع بينهما.

فهذه هي الأسباب الثلاثة في عدم قدرة المرء على التخلي عن الآثام والسيئات أو لقلة الأعمال الصالحة فيه، وهي: ١) ضعف قوة "الأنا" ٢) ضعف الإرادة ٣) تدخُّل بعض العوامل الأخرى

التي تحول دون سيطرة الإرادة على العواطف، ومثاله عادةُ الإنسان، فهناك من اعتاد التدخين وقد قرر الإقلاع عنه، ولكنه إذا رأى أمامه النارجيلة فقد السيطرة على نفسه وانجذب نحوها بسبب عادته السابقة.

وأخبركم الآن عن الأمور التي تزيد من "أنا" الإنسان:

١)أول ما يقوّي "الأنا" هو قوة البقاء، أي الرغبة في البقاء على قيد الحياة. وكل كائن حي يرغب في أن يبقى حيًّا. لو أردتم إهلاك حشرة أو دودة صغيرة فهي تقاوم وتضطرب مما يدل على أنها تريد البقاء على قيد الحياة. فعلى من يعاني الأمراض المذكورة أن يفكر في أنه لو استمرت حالته على هذا النحو فهلاكه وشيك، ولما كان يريد الحياة لا الهلاك فلا بدّ أن يقوِّيَ لديه دوافعَ حبّ البقاء وقواه على قيد الحياة. وهذا هو مقتضى طبع الإنسان، ويمكن أن يزداد ويتقوى سريعا من خلال التفكير فيه والاهتمام به. لاحظوا أن مدخن النرجيله كلما رآها توجه إليها تلقائيا وجلس عندها، وكذا المدمن على الخمر يسعى نحوها، ولكن لو وجد هناك أحدًا شاهرًا سيفه لِقتله

للاذ بالفرار من ذلك المكان. يقال عندنا لو ضُرب شارب الخمر بالنعال لزال عنه سكره. في الحقيقة تغلبه في هذه الحالة الرغبةُ في البقاء على قيد الحياة مما يؤدي إلى زوال سكره.

٢)يجب أن يقوي رغبة الإفناء فيه أيضا. وهو نتيجة حتمية للأمر الأول، فلا يمكن أن تكتمل الرغبة في الإبقاء دون تقويته الرغبة في الإفناء، فعليه أن يعزم على أن يذلل كل عقبة تحول دون نيله هذه المقاصد السامية.

٣)الأسلوب الثالث لتعزيز "الأنا" هو تعزيز قوة الجذب عنده. وهي تصميمه على تحقيق ما يحتاج إليه، ويجب عليه القيام بالمحاولات المتكررة لنيل ما استصعب عليه، وهذا ما سيسفر عن تعزيز "الأنا" لديه.

٤)يجب عليه تعزيز قدرته على المقاومة أو النفور ضد كل ما يمكن أن يكون ضارًّا له.

٥)يجب عليه تعزيز صفتي الثبات والصمود لأنهما سيغذيان "الأنا" في الإنسان. قد يصعب الثبات أحيانًا وقد يبدو للبعض مستحيلا، إلا أن البعض يتجاهلونه. على أية حال، إذا صمد أحد في بعض الأمور فسيكسبه قوة

الصمود في أمور أخرى أيضا، وبالتالي يساهم في تعزيز "الأنا" عنده.

٦)مراعاة المصلحة والحكمة: وهي أيضا تنشأ في الإنسان نتيجة رغبته في البقاء على قيد الحياة. فلو راعى مقتضى الوقت في أعماله أدى ذلك إلى تولد قوة التدبير والحكمة والمحافظة على الأسرار وضبط النفس، وكل ذلك يؤدي إلى تقوية "الأنا" فيه.

٧)إن التفكير الدائم في أخذ الحيطة والحذر، والتيقظ وبعد النظر والتحلي بها أيضا يساعد على تعزيز الأنا.

٨) يجب على مثل هذا الإنسان أن يمقت مدح نفسه، فلو أثنى عليه أحد رفض الاستماع إليه مما سيعزز لديه "الأنا". المدح قاتل للأنا، وسكين حاد لذبحها. ذكر هذا الأمر في القرآن الكريم بأسلوب لطيف جدًّا، حيث قال تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ (آل عمران ١٨٩)، أي أن مثل هؤلاء الناس يصدّقون أقوال الناس في مدحِهم، ولكنهم لا يتدبرون في أنفسهم هل حقًّا فعلوا شيئا أم لا؟ خلاصة القول، لا يحرك مثل هؤلاء الناس ساكنًا، وإذا فعلوا شيئا تمادوا في التباهي به، وإذا أطرى

عليهم البعض وقال عنهم أنهم أنجزوا مهمة كبيرة رضوا به ووافقوهم على قولهم وكأنهم قد أتوا بمأثرة عظيمة. فإنهم يحبون العيش في قصور خيالية شيّدتْها مدائح الناس. فرفض الاستماع إلى المدح يؤدي إلى تعزيز الأنا.

٩)تعزيز صفة احترام الذات وعزة النفس: يجب على الإنسان أن يرفض تحمل كل نوع من الخزي والعار، ويقول لماذا ينسب الشر إليّ. هذا ما يجب أن يثير الغيرة لديه فينهض، وينجح في الحصول على بعض الأمور وفقًا لإرادته.

١٠) تنمية الكرامة والوقار: أي عدم التدخل فيما لا يعنيه. إذ من الطيش والانحطاط أن يتدخل الإنسان في كل صغيرة وكبيرة، وهو ما ينذر بموت الأنا لديه.

١١) تنمية الأمل والتفاؤل في النفس أيضا يؤدي إلى تعزيز الأنا. أي أن يتيقن بحدوث أمر من الأمور على النحو الذي يتأمل حدوثه ويجعل هذا الأمر راسخًا في نفسه، وهو ما سيعزز ثقته بنفسه.

١٢) الابتهاج وروح الدعابة، وهي تنفخ في الإنسان قوة وشجاعة، أما القلق والضجر فيضيع قوى الإنسان.

معظم هذه الأمور صعبة التنفيذ. ولكن إذا استطاع أحد العمل ببعضها لاحظ أنه يتقوى يوما بعد يوم. كل هذه المناورات ذهنية وعقلية، وإن ممارستها تساعد على تنمية القوى العقلية التي تتحكم في الإرادة، وأفضل الطرق لممارستها هو تفكيره في وضعه الحقيقي على النحو الذي شرحته آنفاً، وهذا ما سيؤدي به إلى تعزيز الأنا فيه في أيام قليلة.

ولكن تتجاوز الأنا أحيانا حدودها فيفضي التجاوز إلى ارتكاب الذنوب. ومثاله السيد الظالم الذي يضرب خدمه دونما سبب أو جريرة. وعلاج هذه الحالة هو التفكير في صفة استغناء الله تعالى، وعليه أن يراجع نفسه أنه إذا كانت الأنا عنده تُعاقب على كل صغيرة وكبيرة فماذا عسى أن يكون موقفه لو عامله الله تعالى على الشاكلة نفسها، فيجب أن يستوعب أن كل ما يملكه عطاء من الله تعالى، فليس هو مالك له، بل هو مؤتمن فحسب، ولا بد

أن يُسأل يومًا عن أداءِ هذه الأمانة، فيجب أن يكف عن القسوة الزائدة والظلم.

فإن تعززت لديه الأنا أو كانت قوية مسبقا، ومع ذلك واجه مشكلة تتعلق بالإرادة أو بالعراقيل التي تحول دون عملها فعلاج ذلك كالآتي:

١) لا بد أن يتأثر الباطن بالظاهر كما سبق أن ذكرته ويعني ذلك أنه لو قام أحد بعمل ما في الظاهر ولو بتكلف وتصنع فلا بد أن يؤثر على باطنه، وقد ركز المسيح الموعود عليه السلام على هذه النقطة كثيرا.

٢) والعلاج الثاني هو التوجه إلى الله، ولهذه الوصفة أهمية قصوى لإحراز الفوز والنجاح، مما يعني أن يوجّه تفكيره في اتجاه واحد فقط ويقضي على كل تصور غير الله تعالى. يقول القرآن الكريم: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾(النازعات ٢) أي من يريد إحراز نجاح باهر في عمل ما فلا بد أن يستغرق فيه ويهتم به لدرجة يصبح هو شغله الشاغل. وإذا شغل مشروع من المشاريع جلّ عقلِ الإنسان فلا بد أن ينجح في إتمامه. مثلا، لو فكر المعتاد على الكذب في تركه بطريقة عابرةٍ فلا يحرز أي نجاح إلا

إذا سيطر هذا الموضوع على لبّه وعقله، فأصبح يفكر ليل نهار في الكف عن الكذب والإقلاع عنه.

إن التفكير المتكرر في أمر من الأمور يؤدي إلى تقوية الإنسان داخليًا، ولكن هناك خطرًا يهدد هذه القوة وهو أنها قد تصبح جامحة لدرجة تخرج عن سيطرة الإرادة فتهيم هنا وهناك. يشتكي الكثيرون في بلادنا من تشتت الأفكار والتعرض للخيالات أثناء الصلاة فيسألون عن معالجتها. يجب أن يعلموا أن قوة تفكيرهم وخيالهم قد أصبحت جامحة فلم تعد تركز على صفات الله تعالى بل تتشتت إلى أمور أخرى. فليس صحيحًا القول عمن تراودهم أفكار شتى أثناء الصلاة أن قوة التوجه والتركيز لا تتولد فيهم، بل الحق أنها قد خرجت عن سيطرة إرادتهم فتهيم حيثما تشاء وتتوجه حيثما تريد. وعلاج ذلك هو إخضاعُها مرة أخرى لقوة الإرادة. فمن تشغله أمور أخرى ويتشتت تركيزه في صلاته فهذا يعني أن قوة التركيز عنده قد خرجت عن سيطرة قوة إرادته، فالخطوة الأولى هي إخضاع التركيز لسيطرة قوة الإرادة.

والسؤال الآن كيف يتم ذلك؟

سأذكر الردّ الحقيقي على هذا السؤال لاحقا أما هنا فأكتفي بذكر العلاج العام وهو ألا يمارس هؤلاء ضغوطًا على أنفسهم من أجل التركيز في الصلاة، بل يجب أن يصلوا بشكل عادي كما يقومون بأعمالهم اليومية فستزول عنهم هذه الحالة رويدًا رويدًا.

٣) يجب أن يحسن استخدام قوة إرادته، فينبغي أن يعقد العزم على أن يظل مثابرًا على عمل معين ولن يبالي بأية عرقلة تعترض سبيله. قد يحدث معه أحيانًا أن يعقد عزمًا إلا أنه ينهار ولا يستطيع تنفيذ إرادته، وكل ذلك يدل على ضعف قوة الإرادة فيه، فأورد فيما يلي -**لتقوية العزيمة- وَصْفةً تحتوي على بضعة عشر دواء مذكورة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.**

١) يجب أن يواظب على قراءة الآية التالية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٧)، يقول الله تعالى إنه خلق الإنسان ليكون عبدًا خالصا له، فما دام الله تعالى قد خلقه لتحقيق هذا الهدف فلا بد أن يفكر في تحقيقه أي يحاول أن يصبح عبدًا له. يجب ألا يقول: إنه صعب عليَّ أو لا يسعني ذلك، بل يجب أن يتصور كأن

الله تعالى قد أمسك بيده وقال له انهض واعمل، وهذا ما يسمى لدى الصوفية "المراقبة" التي لا تعني أن يجلس أحد خافضًا عنقه مغمضًا عينيه بل يجب أن يكرر تفكيره وتدبره متسائلا: لقد خلقني الله تعالى لأكون عبدًا له فكيف يمكن أن أصبح شيئًا آخر؟

٢) يجب أن يتدبر مضمون الآية التالية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين ٥) ويقول بأن الله تعالى قد خلقني كالناس الآخرين بقوى وقدرات رائعة عظيمة، فأستطيع ما يستطيع غيري من كسب الأعمال الصالحة، وبإمكاني إحراز الدرجة العليا في الروحانية كما تمكن منه غيري، فكيف لي ألا أنجح في تحقيق ذلك وأنهار في وسط الطريق؟ فيجب أن يركز عليه مرة بعد أخرى ويرسخ في نفسه هذه الفكرة.

٣) ينبغي أن يكثر من وردِ الآية: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق ١٧)، ويتدبر في مضمونها، ثم ينقش في تلافيف دماغه أن الله تعالى قد خلقه وهو يعلم ما ينشأ في القلب من وساوس دقيقة تلوثه، بل هو أقرب إلى الإنسان من نفسه، وهو قادر على القضاء على هذه

الوساوس. هذا ما بينه الله تعالى في الآية المذكورة وطمأن عبده قائلا بأنه لا داعي للخوف ما دامت الأسباب القاضية على الوساوس أقرب له من الأسباب المثيرة لها.

٤) يجب أن يتدبر الآية التالية: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون ٩) ويقول بأنني المؤمن الذي يجب أن يكون غالبًا ولا يسع أحدا أن يغلبه. فإذا كنت غالبًا فلا بد أن تغلب قوة إرادتي أيضا. يجب أن يكثر من ترديد هذه الفكرة حتى تتحقق غلبة قوة إرادته على نفسه.

٥) يجب عليه قراءة الآية التالية: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر ٤٣)، يقول الله تعالى بأنه لا يمكن للشيطان أن يغلب عبادي. فيقول في نفسه بأنني عبد من عباد الله تعالى فكيف للشيطان أن يتسلط علي؟ وكيف للشر أن يسيطر عليّ ويغلبني؟

٦) يجب أن يواظب على قراءة الآية التالية: ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس ٦٣)، ثم يفكر بأني لا أخاف إلا الله، إنني مؤمن والمؤمن لا يخاف أحدًا غير الله تعالى.

٧) يجب أن يتدبر الآية التالية: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (فصلت ٣٢)، من كان مؤمنًا نزلت عليه الملائكة قائلة: إنا لك من الناصرين فما الداعي للقلق والخوف؟

٨) يجب أن يقرأ: ﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف ٨٨) ويقول لن أدع المشاكل تعرضني لليأس، لأن اليأس موت ولا أقبل لنفسي الموت بحال من الأحوال، فلا أيْأس إذا كانت إرادتي لا ترضخ لأوامري ولن يهدأ لي بال حتى أجعلها ترضخ وتطيع.

٩) يجب أن يتدبر الآيات التالية: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر ٢٨-٣١) ويقول: إنني مطمئنٌ وتحدوني الآمال التي أرقبها، فما دام الله تعالى معي ويقول لي اِذهب وادخلْ جنة الخلد التي لا تبلى فأنى يصيبني قلق؟

١٠) يجب أن يقرأ الحديث الشريف التالي: "يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ."[٤٦] ثم يفكر بأن الله تعالى يعد المؤمن بوضع القبول له في العالم كله وهذا يعني أنه لن يدعه يلقى الذلة والهوان. هذا التفكير أيضا يعزّز عزيمته.

١١) يتدبر الآية التالية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الجاثية ١٤) ويقول إن مردّ جميع أنواع الفشل هو الجشع والطمع، فلا أطمع في شيء، أليس الله تعالى قد خلق لي وسخر لي كل شيء مسبقًا؟

١٢) ينبغي أن يكثر من قراءة قول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح ٣٠)، ويفكّر على النحو التالي: لا يمكن أن تجد الأفكار السيئة والنية الخبيثة والخواطر النجسة طريقًا إلى قلبي، لأنني أنتمي إلى تلك الأمة التي قال عنها الله تعالى إنهم أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، أي أنهم يقبلون أثر المؤمنين ولا يقبلون أثر الكفار بحال من الأحوال.

---

[46] البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل. (الناشر)

١٣) يجب أن يكثر من ترديد قول الله تعالى: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة ١١٩)، ويتدبر الحديث النبوي الشريف: "لا يشقى جليسهم"[٤٧]، ويفكر بأن كل ما يخطر بباله من أفكار حسنة لا بد أن تؤثر في الآخرين أيضا. يقول الله تعالى: كونوا مع الصادقين الصالحين، فإن لم أؤثّر في الآخرين تأثيرا طيبًا فهذا يعني أنني لم أبلغ بعد مرتبة المؤمن الحقيقي.

١٤) يجب أن يتدبر بأن الله تعالى قال عن رسوله الكريم ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾(الأنبياء ٣٥).. أي: لم نخلقك ولا أحدًا غيرك لتكونوا في هذه الدنيا من الخالدين. فليفكر الإنسان بأنه لن يبقى في هذا العالم إلى الأبد فينبغي ألا يضيع وقته.

يؤدي العمل بهذه الأمور الأربعة عشر إلى كسب قوة إرادة كافية لكبح جماح الجذبات والمشاعر شريطة أن يتدبر الإنسان هذه الأمور تدبرًا عميقًا.

---
[47] مسلم، كتاب الذكر، باب فضل مجالس الذكر. (الناشر)

٤-والعلاج الرابع لتقوية الإرادة أو إزالة العراقيل التي تحول دونها أن يشن هجمة شديدة ضد العيب الذي يعتزم التخلص منه، كالجيش الذي يستنفد كل طاقاته في هجمته الأولى لتكون كاسحة، وهكذا يجب استنفاد الجهد بكل تركيز وقوّة للتخلص من السيئة.

٥- والعلاج الخامس هو أن يعوّد نفسه على ما يريد خلقَه في نفسه من خصلة حميدة، أو يعوّدها على التحلي بخصلة مضادة للتي يحاول التخلص منها. مثلا، إذا كان سريع الغضب وحاد الطبع فليحاول الالتزام بالرفق واللين.

٦- يتعود التفكيرَ والتأني ويجتنب التسرع والعجلة، فيُعصم من كثير مما اعتاده سابقا، لأن عادات الإنسان تهاجمه مستغلّةً تسرُّعَه بينما تبقى عاجزةً عن الإضرار به لو اعتاد التفكيرَ والتدبر قبل الإقدام على أي عمل أو خطوة.

٧- يجب عليه - عند العمل بشيء أو تركه - استعراض حقيقته الكاملة في ذهنه ودراسة الموضوع من جميع جوانبه حتى تتبلور في ذهنه خطة لإنجازه، هذا ما

سيساعده على العمل بما يصلح له والتخلي عما يجب اجتنابه.

٨- يجب عليه أن يترك أحيانا الأمور المشروعة التي يرغب فيها لكي يروض نفسه على العمل خلاف عادته. مثلا، من اعتاد السرقةَ ولم يستطع التخلي عنها، فعليه أن يبدأ بترك بعض الأمور المشروعة التي يرغب فيها أيضا، كأن لا ينام يوما مهما كان طبعه ميالا له، أو لا يأكل شيئا ولو وجد في نفسه رغبة عارمة له. وهذا الأمر يؤدي إلى تقوية القلب رويدًا رويدًا. هناك قول شهير لعلي رضي الله عنه: عرفت ربي بفسخ العزائم[٤٨]. وأفهم معناه على أنني عقدت عزما بعد عزم إلا أنه فسخ مرة بعد أخرى، لقد تكرر ذلك كثيرا إلا أنني بقيت أعاود الكرة دونما تعب أو ملل، فكانت النتيجة أنني فزت بالله تعالى في نهاية المطاف. فلو يئست بعد فسخ الإرادة الأولى وجلست جانبًا ولم أعقد العزم مرة ثانية لما استطعت الوصول إلى الله تعالى.

[48] نهج البلاغة جزء ٣ ص ٩١٣ قول رقم ٢٤٣ طبعة لاهور. (الناشر)

٩- يجب أن يستعرض الإنسان نفسه ويفحصها مرة بعد أخرى كالطبيب الحكيم الذي يكرر فحصه للمريض.

١٠- يجب أن يجعل أهدافه عالية دومًا ولا يقنع بالحالة الوسطى، يجب أن يحدد له هدفًا عاليًا في كل خطوة يريد الإقدام عليها، لأن الذي تكون إرادته عالية فلا بد أن يحقق شيئا منها، وهذا ما سيمكّنه من التحكم في نفسه.

وبالإضافة إلى ما سلف ثمة طريقة أخرى أيضا وهي الدعاء، فلو أخفقت جهود الإنسان ولم تجدِه محاولاته الشخصية نفعًا ففي مثل هذه الحالة يحتاج إلى مساعدة خارجية. فالأمر الأول هو سعيه الخاص وهو ما يسمى بالمساعدة الداخلية، أما الثاني فالمساعدة الخارجية وهي أن يبذل الإنسان ما في وسعه ثم يدعو الله تعالى قائلا إنني قمت بما كان في وسعي ولن يُكتَب لي النجاحُ إلا إذا ساعدتني وأمددتني. هناك قصة مشهورة لأحد الصلحاء الذي أحب أحد تلامذته التصوف فجاءه ليتعلم على يده فمكث لديه فترة، ولما أراد العودة إلى بلده قال له الرجل الصالح: أنت راجع الآن إلى بلدك، فهل الشيطان موجود في بلدكم؟ فاحتار التلميذ بهذا السؤال، وقال:

الشيطان موجود في كل مكان. فقال: ما دام الشيطان موجودًا هناك أيضا فماذا ستفعل إذا هاجمك؟ قال: سأقاومه. قال الرجل الصالح: حسنًا، هَبْ أنك حاربت الشيطان ففرّ من وجهك، ثم عُدتَ إلى العمل ومواصلة السير في سبل التقرب إلى الله تعالى، إلا أن الشيطان عاد من ورائك وأخذك ومنعك من التقدم، فماذا تفعل إذًا؟ قال: سأحاربه وأحاول التخلص منه ثم أستأنف مسيرتي. فقال الرجل الصالح لو بقيت تحارب الشيطان وتقاومه على هذا النحو فمتى تتفرغ وتتوجه للتقرب إلى الله تعالى؟ فاحتار التلميذ وقال: إذًا أخبرني ماذا يجب عليّ فعله؟ قال الرجل الصالح: لو ذهبتَ لزيارة صديقك واعترض كلبُه سبيلَك، فماذا ستفعل؟ قال سأقاومه وسأضربه بعصا. قال: هَبْ أنه فرّ حين ضربته ولكنه عاد وأتاك من ورائك وأخذك من رِجلك، فماذا ستفعل؟ قال التلميذ: سأنادي صديقي وأقول: تعال وادفعْ عني كلبك. فقال الرجل الصالح: هذا ما ينبغي عليك اتباعه ضد الشيطان أيضًا. فعليك أن تدعو ربك وتناديه: يا رب، أريد أن أصل إليك، ولكن كلبك هذا يحول دوني، فادفعه عني حتى أصل إليك.

إذًا، فهذه طريقة أخرى من بين الطرق المذكورة للتخلص من السيئات وهي أن يدعو الإنسان ربّه قائلا: اللهم إني سعيت جاهدًا

ولا أزال أبذل كل ما في وسعي ولكني لن أحرز أي نجاح بدون مساعدتك وعونك.

الأمر العاشر الذي ذكرته هو أن يجعل الإنسان أهدافه عالية دومًا، فسأل أحد الإخوة: هل يجوز أن تكون مطامعنا عالية أيضا؟ أقول: لا أرى جوازها، لأن المسيح الموعود عليه السلام أيضا كتب أنه يجب ألا يتمنى الإنسان تلقي الإلهام[٤٩]. ولكن هناك بون شاسع بين الأهداف العالية وبين الجشع والطمع. ويعني الجشع أن يتمنى الإنسان الحصول على كل ما رآه حسنًا، أما الهدف العالي فيتقرر قبل الرؤية ثم تتم المحاولة لتحقيقه. إن الطمع والجشع يجعل الإنسان يشحذ ويستجدي ويمد يد المسألة إلى الآخرين أما الذي يسعى لتحقيق الأهداف فليس كذلك لأنه يتحلى بعلو الهمة والعزيمة. وهذه هي حالة من يتمنى الإلهام، لأن الإلهام عبارة عن مأدبة يشرِّف بها الله تعالى عبدًا من عباده. فلو قال أحد بأنه يقصد زيارة صديقه ليأكل عنده طعامًا شهيًّا فهو قول منحط ولا بد أن يستقبحه الجميع، ولكن لو قال إني ذاهب لزيارة صديقي فلان فلا يعترض عليه أحد حتى لو شارك خلال هذه الزيارة بمأدبة شهية جدًّا، وعليه

[49] الملفوظات، ج ٣ ص ١٠٢، ١٣٥. (الناشر)

فعندما يدعو الإنسان أن يهبه الله تعالى درجات روحانية عليا وينعم عليه بقربه، فلا بد أن يتشرف بمأدبة الإلهام أيضا مع نيله الدرجات الروحانية العالية المذكورة. ولكن من يتمنى تلقي الإلهام فهذا يعني أنه يطمع في هذه المأدبة ولا يهمه نيل قرب الله تعالى، فلا تصح رغبته هذه.

وأعود مرة أخرى إلى صميم الموضوع وأقول: إن لم يحقق أحد رقيًّا في الأعمال الصالحة - بعد العمل بهذه الأصول التي ذكرتها- ولم يتمكن من تجنب السيئات فليوقن أن مرضه جسدي وليس روحانيا، وهناك خلل ما في أعصابه وينبغي أن يستشير الأطباء، ومن لا يتمكن من ذلك فعليه الالتزام بهذه الأمور الأربعة:

١) أن يمارس الرياضة ٢) أن يترك الأعمال الذهنية ٣) أن يتبع النظام الغذائي السليم ٤) أن يسعى للمحافظة على بهجة القلب وفرحته.

اعلموا أن بعض الأمراض الروحانية قد تنشأ نتيجة الأوهام والظنون، كما هي الحال في الأمراض الجسمانية أيضا. وأقول عن خبرة إنني -أثناء قراءتي لكتب الطب - كلما قرأت عن مرض ما خطر ببالي أنني مصاب به، كما قال لي أحد طلاب الطب أيضا إن أحد أساتذتهم قد حذر من وقوع بعض الطلاب فريسة لمثل هذه

الأوهام أثناء دراستهم للطب؛ لذلك فإنني أيضا أوجه النصح إليكم أن تأخذوا حذركم وألا تقعوا في مثل هذه الأوهام فتظنوا أنكم مصابون بهذه الأمراض الروحانية ثم تؤدي بكم هذه الأوهام إلى الإصابة بها حقيقة في نهاية المطاف.

يُحكى أن أستاذاً كان قاسيا مع طلابه، وأراد الطلاب في أحد الأيام أن يحتالوا عليه ليحصلوا على إجازة، فقال أحدهم: أضمن لكم العطلة اليوم إذا فعلتم كما أقول لكم. سأقول للأستاذ: سيدي، ما بك؟ لأن وجهك يبدو شاحبًا، ثم تأتون أنتم مرة بعد أخرى وتقولون كما قلت. فاتفق الطلاب على هذا الاقتراح، فذهب أحدهم إلى الأستاذ وقال له: أستاذي الكريم، هل أنت بخير؟ فردّ عليه الأستاذ: ما هذا الهراء الذي تقوله؟ اخرس واعمل عملك. ولكن الطالب تجرأ وقال: سيدي: إن وجهك يبدو شاحبا اليوم. فشتمه الأستاذ، فذهب وجاء طالب آخر، فكرر الكلام نفسه. فشتمه الأستاذ ولكنه كان أقل قسوة معه. فلما تكرر مجيء الطلاب وقالوا له الكلام نفسه فقد وافق الأستاذ عند مجيء الطالب السادس أو السابع أنه يشعر بوعكة صحية خفيفة ولا داعي للقلق. فلما جاءه الطالب الخامس عشر أو السادس عشر قال له الأستاذ: أشعر بسخونة فالأفضل لي أن أرتاح قليلا، فقد أصيب بالحمى وترك

الطلاب وراح إلى بيته. فرجع الطلاب أيضا إلى بيوتهم وقالوا لأمهاتهم إن الأستاذ قد مرض فلا بد من عيادته. فلما أخذت النساء يذهبن إلى بيته ويُعْرِبْن عن مشاعر المواساة والتعاطف عليه، ظن الأستاذ أنه مريض جدًّا فاشتد مرضه ومات في النهاية.

قد تكون هذه مجرد قصة ولكن أثبتت البحوث الميدانية في أوروبا أن هناك زيادة ملحوظة في الأمراض منذ أن اُخترعت الأدوية المؤثرة بالوهم (Potent)، لأن صناع الأدوية يبالغون في دعاياتهم لها بحيث يسجلون قائمة طويلة للأمراض التي يعتبرون دواءهم مفيدا فيها، وعندما يقرأها الناس يطلبون هذا الدواء ظنًّا منهم أنهم يعانون أحد هذه الأمراض، ثم تتطور أوهامهم فيصابون بتلك الأمراض حقيقةً. فينبغي للإنسان أن يجتنب الانجراف مع تيار الأوهام.

الأمر الثاني الهام على الصعيد الجماعي والقومي أيضا هو أن لا يشترك الإنسان في إشاعة الفاحشة. يعتاد بعض الناس تشويه الآخرين فيقولون: الناس ههنا سيئون جدًّا لأنهم يحتالون ويهضمون حقوق الآخرين. كان البعض فيما سبق يرفعون صوتهم ضد هؤلاء المشوّهين، ولكنهم الآن يقولون دعوهم وشأنهم فلا علاقة لنا بهم، ثم وصل بهم الحال إلى أن أصبحوا يقولون: صحيح أن هناك من هو على هذه السيرة ولكن ماذا عسى أن نفعل تجاههم، ثم يتفاقم أمرهم

تدريجيًا حتى يقولوا: أصبح الجميع ههنا سيئين. ينبغي ألا يصغي الإنسان لمثل هؤلاء الناس وإلا فسيقع في السيئة نفسها. ولقد قال النبي ﷺ إذا رمى أحد غيره بشيء ارتدّ عليه[٥٠]، وهكذا تفسد الأقوام وتُدمّر، لذلك ينبغي مقاومة من يشيع الفاحشة، ويجب أن يقال له: يمكنك أن تحذّر الناس عن شخص سيئ وعن سيئته ولا يحق لك أن تتهم الجميع بالسوء. فلا يليق أن يطلق تعليقات عامة. قال النبي ﷺ: إِذَا قَالَ الرَّجُلُ فسد النَّاسُ فَقد أفسدهم[٥١]. أي إذا قيل للناس مرة بعد أخرى أنهم فسدوا فسيجعلهم هذا الظن فاسدين في النهاية. فلا بد من مقاومة مثل هذا العدو المشترك الذي يشيع الفاحشة ويسيء إلى القوم كله وينعته بالفساد. ومن ناحية أخرى فإن القوم الذي لا يكترث لهذه الأمور أيضا يُدمَّر ويهلك. لذلك فالعلاج الحقيقي هو

---

[50] الحديث المشار إليه كالآتي: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ. (البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن) (المترجم).

[51] الحديث المشار إليه هو: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ. (مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي من قال هلك الناس) (المترجم).

أن يُرفَع مثل هذا الأمر إلى أولي الأمر حتى يحققوا فيه وإذا وجدوه كذلك سعوا لإصلاحه.

كنت أتوقع في البداية أن خطابي هذا سينتهي خلال يوم واحد، فلما كتبت ملاحظاتي بدا لي أنه سيستغرق يومين، ولكن ها إنني عند نهاية اليوم الثاني لم أتمكن من ذكر الطرق الأربعين الأساسية التي تساعد الإنسان على أن يصبح بارًّا وصالحًا، فسأسجلها في النسخة المطبوعة لهذين الخطابين أو أتناول ذكرها في مناسبة أخرى. إذًا لا تزال النقاط الأربعون قائمة ردًّا على السؤال: كيف يمكن للإنسان أن يصبح صالحًا وبارًّا.

والآن أنهي خطابي هذا بقول المسيح الموعود عليه السلام الذي قاله بلهجة ملؤها الألم الشديد بأنه لا يمكن أن يتحقق غرضنا من إنشاء هذه الجماعة ولا يمكن أن تحظى جماعتنا بأفضال الله تعالى ما لم نصبح صالحين، لذلك فعلى الجميع السعي للتخلق بتلك الأخلاق التي اعتبرها المسيح الموعود عليه السلام ضرورية لنا. إنني على أمل كبير أن من سجل ملاحظات خطاباتي هذه السنة أو الذين سمعوها سوف يسعون جاهدين للعمل بما ورد فيها حتى نؤكد للعالم كله أنه لا مثيل لنا في الأعمال الصالحة. والحق أنه لا يسعنا أن نحقق للعالم النجاةَ ولا نستطيع إحداث أي تغيير ملموس فيه ما لم يصبح كل

فرد من أفراد جماعتنا وليا من أولياء الله تعالى. فليس هدفنا هو محاربة السيئات المنتشرة في العالم فحسب بل محاربة تيار الأفكار السيئة أيضا ومواجهة البحر المواج بالخيالات والظنون الذي يتماوج من كل الأطراف والنواحي. لذلك فوضعنا حساس جدًّا، وأرجو من أفراد الجماعة أن يسعوا جاهدين ليصبحوا كما كان المسيح الموعود عليه السلام يتوقعه منا. والآن أختم خطابي هذا بدعاء المسيح الموعود عليه السلام الآتي:

"ماذا أفعل ومن أين آتي بتلك الكلمات التي تؤثر في قلوب هذه الجماعة. اللهم هب لي تلك الكلمات وألهمني تلك الخطابات التي تلقي في قلوبهم نورها، وتزيل بخواصها الترياقية سمومَها. إن روحي لتتطلع لرؤية ذلك اليوم الذي أرى فيه الكثيرين من جماعتي الذين قد تخلوا عن الكذب حقيقة وعقدوا عهدًا صادقا مع ربهم أنهم سيجتنبون كل شر، وسيبتعدون ابتعادًا كليًّا عن الكبر الذي هو أصل كل شرور، وسيتقون ربهم. إنني أدعو بهذا الدعاء وسأواظب عليه إلى آخر أنفاسي أن يطهر الله تعالى قلوب جماعتي، ويمد يد رحمته إلى قلوبهم فيحولها نحوه، ويرفع جميع أنواع الشرور والضغائن

من قلوبهم ويهبها حبًّا صادقا فيما بينهم، وإنني على يقين بأن دعائي هذا سيلقى القبول في حضرته ولن يضيع الله تعالى دعواتي."[52]

سوف يستجاب دعاء المسيح الموعود ﷺ ولن يضيعه الله تعالى، ولكن يجب أن تفكروا في أنفسكم هل أنتم ستصبحون مصداقا له أم الذين سيأتون من بعدكم؟ فلو استجيب هذا الدعاء في حق الذين سيأتون بعدنا فماذا استفدنا إذا؟ لذلك أقول يجب أن نجعل دعاء المسيح الموعود نصب أعيننا ثم يجب أن نسعى لنكون مصداقا له فتقرّ أعيننا برؤية ذلك المشهد الذي رسمه المسيح الموعود ﷺ.

والآن بعد الدعاء أعلن إنهاء هذه الجلسة وأسمح بالمغادرة لمن يريد.

يقول أصحاب المكتبة أن أشفع لهم أن يشتري أفراد الجماعة كتب المسيح الموعود ﷺ التي نشروها. فأقول: من واجبكم أن تنشروا كتب المسيح الموعود ﷺ فاشتروها واقرؤوها ثم انشروها في العالم كله أي اسعوا جاهدين لإيصالها إلى الآخرين.

❁❁❁❁❁

[52] شهادة القرآن، الخزائن الروحانية ج٤ ص٣٩٨. (الناشر)